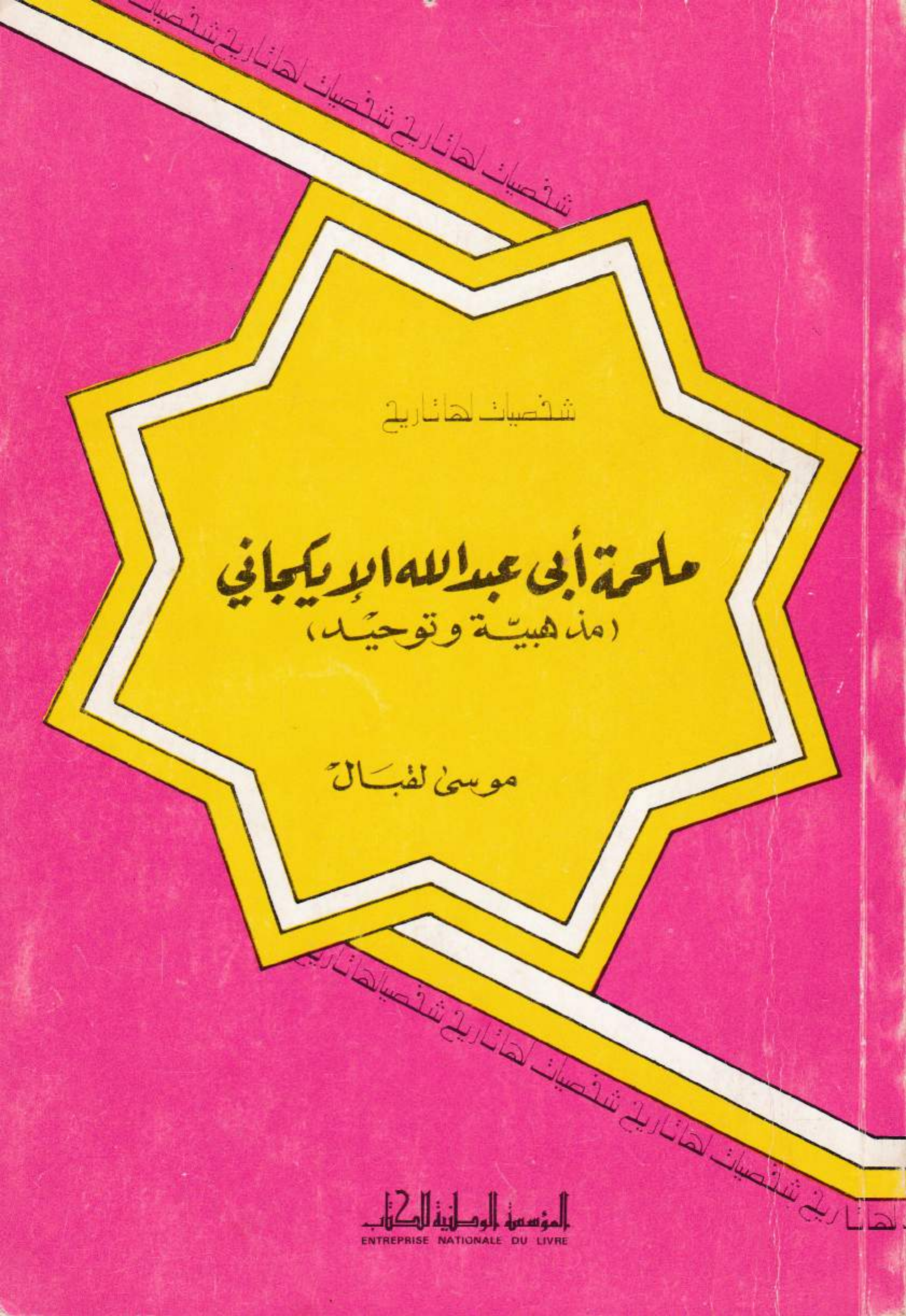


شخصيات لها تاريخ
ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني
(مذهبية وتوحيد)
موسى لقبال
المؤسسة الوطنية للكتاب
ENTREPRISE NATIONALE DU LIVRE

ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني

(مذهبية وتوحيد)

تأليف: موسى لقبال

تصميم: علي كفصي

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم التسلسلي : 09 - 01 - 88 - 140
المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر : 1990

الخلافة أساس الفكر السياسي

عاش المسلمون حياتهم، الزاهرة، الباهرة، في مدينتهم الفاضلة، أثناء حياة الرسول (ص). وبفضل قيادته الرشيدة، والمثالية، والعملية، واشرافه على شؤون الدين، والدنيا، للمجتمع الإسلامي الجديد، عمت السكينة، والوقار، وسادالوئام، وامتلأت، العقول، والنفوس بالروح، والراحة، وبالطاعة والإستقامة.

فلما اختار الله الرسول لجواره في الملأ الأعلى، كان ذلك الحدث الأكبر في حياة المجتمع الجديد، نتج عنه الفراغ السياسي، والروحي الذي أدى الى شيوع ظاهرة القلق، والإضطراب، وداء الفرقة، خاصة وأنه (ص) لم يرد أن يحدّد طريقة معينة، يسلكها المجتمع الإسلامي في بناء أسس الحكم الجديد، بعد وفاته، اللهم إلاّ ما بثه في أحاديثه النبوية، تربية لأصحابه، على سلوك النهج القويم، والتمسك بدستور الإسلام : القرآن الكريم.

وكان الرسول (ص) بذلك دافعا لأصحابه على مزيد من الاعتماد على النفس، والإجتهاد؛ لاختيار

أنسب الطرق، والأشكال في موضوع الحكم، وتصريف شؤون الدين والدنيا.

اذ لو عين (ص) نمطا معينا، لأصبح ذلك سنة واجبة الإتباع، مهما تغيرت الظروف والأحوال. وفي ذلك شيءٌ من التحجر والجمود، يأباه رسول الاسلام.

ومعنى هذا ان الرسول (ص) لم يمنعه أى مانع مثل المرض، أو ضيق الوقت، من تحديد شكل الحكم بعده لمسيرة المجتمع الإسلامي.

فالقرآن الكريم، وإن لم يتضمن صراحة شكلا معينا، من أشكال الحكم المألوفة، سواء في ماضي العرب في جاهليتهم، أو في ماضي الشعوب المجاورة لهم، فانه حفل في أكثر من مكان بالأيات القرآنية التي تحث على الأخذ، بالشورى، وعلى تطبيق مبادىء العدل، والمساواة والاخوة، ونبذ الظلم والجور في الأحكام : وهي المبادئ الأساسية، في أي شكل، من أشكال الحكم السليم قديما، وحديثا.

وقد تحقق فعلا ما قصده الرسول (ص) عندما ترك أمر الحكم بعده للإجتهاد؛ اذا بادر الذين تربوا في مدرسة الإسلام الأولى، من الصحابة : مهاجرين وأنصار، لمعالجة هذاالامر، في أكبر تجمع إسلامي دستوري، وتأسيسي، في سقيفة بني ساعدة، بالمدينة

المنورة ولئن ساد الإجتماع نقاش صريح وحرّ، وحاد، فانه كان هادفاالى خيرالإسلام، وخير المجتمع الإسلامي الجديد.

ولذلك انتهى هذا التجمع، أو هذاالمؤتمر التاريخي، الى حل جذري لمشكلة الفراغ السياسي الذي أصبح فيه المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول (ص)، وذلك بالموافقة على شكل من أشكال الحكم هو الخلافة، أو الإمامة وهي الرئاسة العليا عند المسلمين. تم ذلك بطريق البيعة وهي الإنتخاب.

وهكذا اهتدى المسلمون الى نظام عربي وإسلامي عالمي، يهتم بشؤون الدين والدنيا عندهم؛ فكان ذلك هو النجاح المبدئي العظيم. ومن يومئذ بقي هذا النظام أساسا رئيسيا، في حياة المسلمين، لا يتصورون حياة مدنية أودينية سليمة، وكاملة بغيره وحتى في عهود ضعف هذاالنظام وتحوله الى نظام وراثي، بقي محترما لدى عامة المسلمين، ولذلك كافحوا لإبقائه، أولتقويمه، كما كافحوا من أجل احيائه في القاهرة، بعد سقوطه في بغداد 656هـ / 1258م، على أيدي المغول.

وعندما سقط نظام المماليك الجراكسة في مصر والشام 1517م، على يد العثمانيين، استمر نظام

الخلافة في اسطنبول حتى 1924م. ليرضى عواطف المسلمين، وليتحصنوا به، ضد عوامل الهدم، والدمار التي تسبب فيها المغول والصليبيون : القدماء والمحدثون.

ومن الطبيعي بالنسبة لنظام عالمي كالخلافة، له قوة، وبريق، وهيبة أن يتطلع لنيل شرفه، الكثير من الأفراد، والأسر، والجماعات الاسلامية، منذ قيامه والى وقت ليس ببعيد.

ومن المسلم به في مثل هذه الحالات أن يقع الخلاف، والنضال بالكلام، أو بالسنان أيضا. وهذا ما يدعو الى بحث موضوع :

- الأحقية بالخلافة.

الآن وقد إتضح كيف أن إخلاص المهاجرين والأنصار، للإسلام قادهم ببساطة الى إرساء نظام الخلافة العتيد، الذي جمع شمل المسلمين وحفظ استمرارية المجتمع، والدولة، في اطار سليم، حتى عندما تحول هذا النظام الاسلامي، الى ما يشبه الملك الوراثي منذ بداية العصر الأموي 40هـ / 660م.

أما موضوع الأحقية بالخلافة، أي إدعاء الأسبقية، أو أولوية فريق من المسلمين، على فريق آخر، في منصب الخلافة، فهو أخطر ما واجهه المسلمون،

وتشعبت فيه آراؤهم، واشتد حوله الخلاف بينهم، فاصبحوا : فرقا، وأشتاتا، وأحزابا. ومن هنا ينبغي أن يعرف شبابنا مسؤولية نظام الخلافة، في نشأة ظاهرةالحزبية السياسية والمذهبية في الاسلام.

نواة الحزبية في الإسلام - الفرق :

فنجاح مؤتمر سقيفة بنى ساعدة وقيام خلافة الراشدين، باتفاق جمهورالمهاجرين والأنصار،على مبايعة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، جعل فريقا من المسلمين، وهم الذين عرفوا فيما بعد بأهل السنة والجماعة، يرون أن الخلافة ميزة، تختص بها قبيلة قريش، بسائر فروعها، و منهاالسابقون الأولون الى الإسلام من المهاجرين.

وقد استند هذا الفريق، على ما جرى من نقاش، أثناء مؤتمرالسقيفة كمااحتج لتأييد رأيه، بالحديث الشريف « الخلافة في قريش ».

وعلى هذا فخلافة الأمويين والعباسيين خلافة شرعية واجبة الطاعة، واعتبر هذاالرأي عند بقية المسلمين، نوعا من الإحتكار، أو نوعا من الميراث، تدعيه قريش، بسبب انتماءالرسول (ص) اليها.

وفي الطرف الآخر، وبعد أن جرى حادث

التحكيم بين علي الخليفة الراشد الشرعي، ومعاوية والي الشام، وأسفر عن هزيمة سياسية لعلي. ونجاح باهر لمعاوية قاده الى الخلافة، انقسم أنصار علي بن ابي طالب، الى فريقين :

أ ـ فريق أنكر التحكيم واحتج على الخليفة الشرعي (علي)، وفارق معسكره، وقاتله دون هوادة، وعمل على التخلص منه بالقتل نهائيا، وعندما نجح في ذلك، انتهى ـ بقتل علي ـ عصر الخلفاءالراشدين، وبدأ عصر الأمويين الذي طوّر الخلافة الى نظام وراثي كما أسلفنا.

فكان كل ما جرى دافعا، لهذا الفريق، على التطرف، في نظرته حول مواصفات خليفة المسلمين.

بحيث رأى ان الخلافة، حق مشاع، ومشترك بين جميع المسلمين العدول، دون اعتبار، لجنسهم، أو لون بشرتهم، ويدخل في عموم ذلك، العرب وغيرهم، وقريش مثلها، مثل بقية القبائل العربية الأخرى، وآل البيت، وهم أهل الرسول (ص) مثل غيرهم أيضا، في هذا الموضوع. فالمساواة واجبة بين الجميع.

وهذا الرأي يعتبر بذرة الجمهورية أو الجماهيرية في تاريخ الفكر السياسي الاسلامي، وقد تبنى هذا الرأي، وتمسك به تمسكا شديدا، المحكمة،

أوالشراة، وهم الذين سماهم خصومهم بلقب : الخوارج، لخروجهم ضد علي، أما هم فيسمون أنفسهم الشراة، أي الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله.

وقد تعزز جانب الشراة، وقوي عددهم، وكثرت جماهيرهم، بانضمام فريق من المسلمين، غير العرب إليهم، وهم عنصر الموالي، إعجابا بفكرة المساواة التي نادوا بها، والتي تتيح لبعض رجالهم الظفر بلقب الخلافة الرفيع الشأن.

ب ـ أما الفريق الثاني من أنصار علي، فقد ثبتوا على الولاء له، وعلى نصرته، أثناء حياته، وبعد قتله ـ رضي الله عنه ـ التفوا حول أبنائه : الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية، وحول أحفادهم من بعدهم ـ رضي الله عنهم ـ .

ـ وخلاصة رأيهم، أن الخلافة بعد الرسول (ص) هي حق لعلي بن أبي طالب ،(وأبنائه من بعده) دون سواهم، وهذا بمقتضى تعيين الرسول (ص) لعلي والنص على ولايته للمسلمين، في مكان يسمى : غدير خم (بين مكةوالمدينة) في السنة العاشرة من الهجرة، أثناء عودة الرسول (ص) من الحج الأكبر، أو حجة الوداع (الأخيرة).

ففي هذاالمكان، وأمام جمهور المسلمين، قال

الرسول يخاطبهم : « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : « بلى يارسول الله ! »، قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه ! اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله ». ومن يومئذ صار علي ولي المسلمين، وولي الله، وهنأه كبار الصحابة بهذا الشرف العظيم.

فبمقتضى هذا الحديث الذي يتمسك بصحته هذا الفريق، يكون الرسول (ص) قد عيّن عليا بعده، وأوصى له بالخلافة، يرثها عنه، كما ورث عنه العلم والحكمة؛ ومن علي تنتقل الى الحسن والحسين، ثم الى محمد بن الحنفية بعدهما، أي تبقى في بيت علي دون سواه.

وهذا الإتجاه يشير الى بذرة الملكية الوراثية التي تستمد وجودها، أو أحقيتها من فكرة دينية مقدسة.

وهذا الفريق من أنصار علي، هم الذين عرفوا فيما بعد باسم الشيعة (= العلويين) ويضمون في صفوفهم مجموعات عربية، وأخرى من الموالي، فمن هؤلاء الشيعة ؟ وما هي طوائفهم ؟ وأية أحداث مهدت لبروزهم ؟

فرقة الشيعة - طوائفها :

في البداية نلاحظ أن حب آل البيت والعطف

عليهم، هو المسؤول بدرجة كبيرة عن ظهور الآراء الشيعية المختلفة، وأيضا عن نشأة هذه الفرقة الإسلامية الكبيرة.

ولقد زادت من قوة شعور الحب، والإلتفاف، أحداث جسام في مقدمتها :

أ - إنصراف الناس يوم مؤتمر السقيفة عن علي، وبيعتهم لأبي بكر بالخلافة.

ب - عدم طواعية بني أمية وأنصارهم، لعلي أثناء خلافته التي سادها إضطراب وختمت بمصرعه، على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي (من الشراة = الخوارج).

ج - ولم يستقم الأمر بعده لإبنه الحسن، بسبب تخاذل الناس عن نصرته، ولم يلبث أن توفي في ظروف غامضة.

د - أما المأساة الكبرى فتمثلت في قتل الحسين أخيه بسهل كربلاء سنة 61هـ / 680م على يد عبيد الله بن زياد. فأصبح يعرف بالشهيد، أو سيد الشهداء.

ان مأساة كربلاء بالخصوص، أدمت قلوب الشيعة، وقلوب المسلمين جميعا. وتركت حزنا عميقا، بقي يتجدد، كلما مرت ذكرى يوم عاشوراء (10محرم) من كل سنة هجرية.

وهذه الأحداث وغيرها، هي التي كونت فرقة

الشيعة، وأعطتها قوة وصلابة وقدرة على النضال السياسي والفكري ضد الأمويين والعباسيين أيضا.

وكان أول ردود الفعل بعد حادثة كربلاء، ظهور أقدم فرقة شيعية، تدعو الى الإلتفاف حول : محمد بن الحنفية - الابن الثالث لعلي بن أبي طالب من غير فاطمة - بدعوى أنه ورث العلم السرى الذي أوصى به ابوه - وعرفت الفرقة، باسم الكيسانية - وباسم هذه الفرقة ناضل كثير من المغامرين، ومن المحبين لآل البيت أيضا ضد بني أمية، وقادتهم، فأدركوا شأوا بعيدا، ومن أشهرهم : المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وفي فترة تالية ظهرت الى الوجود :

فرقة الامامية، وفرقة الزيدية. نتيجة لخلاف بين ابني علي زين العابدين ابن الحسين، وهما : محمد الباقر، وأخوه زيد، حول الموقف من خلافة ابي بكر وعمر، فالإمامية رفضوها، فسموا رافضة، والزيدية اعترفوا بها.

وبينما حمل الزيدية (مذهبهم الآن في اليمن) راية الجهاد، ضد بني أمية، اتجه الإمامية نحو التعليم، والدعوة، والبحث العلمي، فنتج عن نشاطهم فقه الشيِّعة، وأصول عقائدها، وفلسفتها السياسية، واتضح ذلك عندما آل أمر امامية الى سادس الأئمة بعد علي،

وهو جعفرالصادق ابن محمد الباقر، عاش هذاالامام، أحداثا جساما : فرأى فشل بني عمه الحسنيين، بقيادة محمد النفس الزكية، في النيل من سلطة بني العباس، في عهد أبي جعفر المنصور، وكيف نكل بهم، ونفوا من الحجاز الى بغداد.

ولئن أظهر الصادق شفقته، وعطفه على المنكوبين، من آله، فقد بقي بعيدا عن الشبهة، وعن أي نشاط سياسي، قد يوقع به، وبآل بيته الحسينيين. وقد سلك سبيل الحذر، والحيطة، والعمل، في سرية تامة، وهو ما يعرف بالتقية. وينسب اليه قوله : « التقية ديني ودين أبائي، فمن لا تقية له لا دين له » واليه ينسب الفقه الجعفرى أو المذهب الجعفري في بلاد الشام.

كما ينسب اليه تنظيم الدعوة، لآل البيت وارسال الدعاة، الى مختلف الجهات والأقطار في المشرق وفي المغرب الإسلاميين.

وكان هذاالامام قدوة لجميع الشيعة، وعنوانا على مجدهم، ورمزا لوحدتهم المتينة، وحافظا لتراثهم، فلما توفي سنة 148 هـ / 765 م تصدع بنيان الشيعة الأمامية، وظهرت الى الوجود السياسي، والعقائدي؛ فرقتان :

أ - فرقة الامامية الاثني عشرية « الموسوية » (= موسى)

ب - وفرقةالاسماعيلية (= اسماعيل).

والسبب في حدوث هذا الشقاق في بيت جعفر الصادق، أي بين ولديه : الأكبر اسماعيل، والأصغر موسى الكاظم (تنسب اليه الكاظمية : حي في بغداد) :

هو الأحقية بالإمامة بعده.

فادعى فريق من الشيعة ان جعفرا الصادق نص على امامة ابنه الأكبر اسماعيل، فهو الأحق بمقتضى تقاليد الشيعة، وهؤلاء هم الإسماعيلية. وتنقل منه الى ابنائه وأحفاده، بمقتضى النص كذلك.

اما الفريق الآخر فرأى ان جعفرا غيَّر النص في أخريات حياته، وألغى اسماعيل، وعين موسى الكاظم، للامامة بعده، والسبب هو ما بلغه عن اسماعيل، من طيش، وانحراف خلقي. وهؤلاء هم الموسوية، ولأنهم قالوا : إن الامامة تنتقل من موسى الى ابنائه، واحفاده، حتى الثاني عشر منهم، وهو محمد بن الحسن العسكري الذى اختفى في سرداب في مدينة سامراء - العراقية سنة 263هـ / 876م، سموا بالامامية الاثنى عشرية. وكان من هؤلاء علماء، وفضلاء خدموا

قضية آل البيت خدمة معتبرة، حتى بلغ الأمر بالخليفة المأمون العباسي، الى أن عزم على رد الخلافة الى أحدهم وهو (علي الرضا)، فبايعه، وحمل الناس على بيعته، لكن الأمر لم يتم، بسبب ثورة العباسيين ضد المأمون الذى تراجع أخيرا.

وفي أحضان هؤلاء الأئمة تربى كثير من النبهاء، والعلماء، والدعاة الذين نذروا أنفسهم، لخدمة قضية آل البيت العلويين، بغية انصافهم من بني عمومتهم العباسيين.

ومن بين هؤلاء الرجال : نذكر أبا عبد الله الصنعاني المعروف بلقب : الشيِّعي. وابن حوشب، وأبا سفيان، والحلواني وغيرهم كثير.

نشاط الاسماعيلية في القرن 3هـ / 9م :

في بداية الأمر، نذكر بأن غيبة الإمام (محمد بن الحسن العسكري) وهو الثاني عشر في سنة 263هـ / 876م في مدينة سامراء، واستمرار هذه الغيبة أصاب أنصار الدعوة، ورجالها، بالملل والقلق، واليأس من عودة الغائب المنتظر حسب مذهب الإثني عشرية.

وفي نفس الوقت كان الاسماعيلية - وهم اخوة الاثني عشرية يطالبون بمثل ما يطالب به هؤلاء، من

رجوع الحق في إمامة المسلمين إليهم، وكانوا ينشرون دعوتهم في كل أرجاء العالم الإسلامي، بواسطة دعاة مهرة، ذوي عزيمة حديدية، لا تعرف التراجع، وذهنية متطورة وعلمية، لا يصمد أمامها إلاَّ الراسخون في العلم، والعقيدةالمذهبية.

وقد ساعد أئمة الإسماعيلية مبدأ السرية في العمل السياسي ضد العباسيين، كما ساعدهم اختفاؤهم بطرق مختلفة، وتحت ألقاب وأسماء متنوعة تجعل من العسير على اعدائهم التعرف عليهم، حتى عندما استقروا أخيرا ببلاد الشام متخدين قرية سلمية (من أعمال حمص) دار هجرة لهم، أو عاصمة روحية، فيها يستقبلون أنصارهم ودعاتهم، ومنها يرسلونهم الى الأماكن الأخرى : خاصة البحرين، والسند، والهند، ومصر، والعراق، وفارس، واليمن، وبلاد المغرب الإسلامي.

بلاد اليمن ومسيرة الدعوة :

وبلاد اليمن بنوع خاص ظفرت بمركز ممتاز في نظام الدعوة الإسماعيلية، حيث أصبحت بمثابة مدرسة لتكوين أمهر الدعاة، وخير الأنصار، في مجالي الفكر، والعمل الحربي معا، كان ذلك بأمر إمام الزمان الإسماعيلي المستور في ذات الله، المقيم في سلمية،

قاعدة انطلاق الدعاة ... ومن هؤلاء أشهرهم : وهو ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن، فقد كلف بالإشراف على الدعوة في بلاد اليمن، وما جاورها، وفي الجزيرة العربية، وبحر الهند، وبلاد المغرب أيضا.

ابو عبدالله الداعي في سلمية :

والتاريخ يذكر كيف ان الإمام الإسماعيلي، محمد الحبيب، والد عبيد الله، عندما توسم الذكاء، والقدرة، والمهارة، والإلتزام، بقضية آل البيت، في شخصية ابي عبد الله الصنعاني، أسند اليه مهمة الدعوة، في بلاد المغرب، لكن قبل مسيره الى بلاد المغرب أرسله الى بلاد اليمن، وأوصاه بأن يكون طوع اشارة كبير دعاتها :

منصور اليمن، وأن يحضر مجالسه، ويسمع آراءه ونصائحه، ويعرف طرق معالجته، لما يطرح عليه من مشاكل، وأن يشترك في حروبه أيضا ... وبعدئذ ينفذ ما يأمره به، قبل بدء مهمته في بلاد المغرب.

ابو عبد الله في اليمن:

وفعلا سارت الأمور على هذا النحو، فسافرا بو عبد الله من سلمية الى اليمن. حيث رحب به بن حوشب.

وأطلعه على كل ما يهمه ،... ويفيده في مستقبل حياته العملية، وحضر مجالسه الخاصة، واشترك في حروبه ... وكان في كل ذلك نشيطا، ذا همة وطاعة ... مقدرا لجهود بن حوشب، محترما لآرائه دون نقاش، فأعجب به الرجل، وحاز ثقته، وتوسم فيه خيرا كبيرا للدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، التي أصابها الركود والجمود، بعد موت الداعين السابقين ابي سفيان، الحلواني.

مسلمو بلادالمغرب وآل البيت ـ الداعي في بلادالمغرب :

ولأهمية بلاد المغرب كركن قصي عن أيدى أعدائهم العباسيين، ولإستعداد أهل المغرب المسلمين، لتقبل الافكار الجديدة، خاصة اذا كانت تخدم آل بيت الرسول (ص)، وتنصف عليا وآله ممن ظلموهم.

وعلي ـ رضي الله عنه ـ يتمتع عند مسلمي المغرب العربي بالمحبة، والتقدير والأسبقية بالولاية والامامة.

وبسبب تقدير السكان لشخصه، وعلمه، وفروسيته وسبقه في الإسلام، احتضنوا بنيه الحسنيين، الأدارسة وأيدوهم في تأسيس حكم علوى وراثي، في

المغربين الأقصى والأوسط. ولنفس السبب، سوف لا يبخلون بأى جهد، بالنسبة لبنيه الحسينيِّين، سيما وان الأدارسة خلقوا ظاهرة الاستعداد، لتأييد آل البيت، وزاد الداعيان : الحلواني وابو سفيان، فعمقا هذه الظاهرة بدعوتهما للسكان في أرض افريقية، وفي مشارف المغرب الأوسط الى نصرة قضية آل البيت المظلومين.

هذه الحقائق عن بلاد المغرب وعن ميل أهلها لبيت الرسول (ص)، كانت في اعتبار داعي اليمن، وهو يرسل نيابة عن الامام الاسماعيلي وبأمر منه أبا عبد الله الشيعي، ليواصل المهمة التي انقطعت بموت الداعيين أبي سفيان والحلواني، فكان بحق صاحب البذر، الذى يأتي بعد الحرث، وتهيئة التربة، فلنقل كلمة عن نسبه وألقابه ..

هو الحسين ابن احمد ابن محمد ابن زكريا الصنعاني، كني بأبي عبد الله، ولقب بمجموعة كثيرة من الألقاب تدل في مجموعها على قيمته، وتنوع نشاطه وربما على نسبه أيضا. ومنها : الشيعي، وهو أشهرها .. وقد كان شديد الاخلاص لمذهبه. وفرط إخلاصه جعله بعد فترة قلق، وانتظار، لعودة الإمام المنتظر، يضم جهده الى الحركة العلوية الإسماعيلية النشيطة.

ومن ألقابه : الصنعاني، والنسبة في الأرجح لصنعاء عاصمة اليمن، وبهذااللقب كان يسب ويلعن ويشهر به في القيروان ورقادة بعد نجاح جهوده ضد الأغالبة.

وعرف بالمحتسب، لأنه مارس خطة الحسبة في بعض مدن العراق. والحسبة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدينة الاسلامية.

وعرف بالمعلم، لأنه كان يتستر بالتعليم، ليدرك غايته السياسية. ظهر ذلك في مكة وفي كتامة أيضا.

واشتهر أيضا بلقب الصوفي، لتقشفه في الحياة، ولملازمته للبس الخشن من الثياب.

وفي بيئة المغرب العربي، عرف بجملة ألقاب أخرى. هي الأهوازي، نسبة لأقليم خوزستان أو الأهواز، كما عرف أيضا بصاحب البغلة الشهباء، أوالبلقاء، وبالمشرقي، لمجيئه من المشرق ،... ولمذهبه الشيعي كذلك، حيث صارت كلمة المشارقة، بعد هذا الوقت تعني الشيعة ،...

ولقب في كتامة بلقب السيد، تعظيما لقدره. كما عرف عند الاباضية، بلقب مولى عبيد الله، والحجاني أو الكجاني، تحريفا لنسبته الى ايكجان، في أرض كتامة.

ابوعبد الله وموسم الحج سنة 280 هـ / 893 م :

بعد أن تعرف ابوعبد الله على طرق، وفكر أكبر دعاة الإمام في بلاد اليمن، واقتنع هذا بأهليته، وبمكانته، أذن له بالرحيل، مع حجيج بلاد اليمن، الى مكة، ليربط صلات مع حجاج المغرب، وكتامة بنوع خاص، ربما كان ذلك بناء على موعد سابق، تم تحديده، خاصة وان بقاءه في اليمن استمر سنة كاملة، وهي مدة كافية لضبط موعد اللقاء، وموسم الحج كان أكبر فرصة لمثل هؤلأ الدعاة.

والهدف من الإتصال بحجاج كتامة، التمهيد للسير معهم الى بلادهم؛ لإستئناف المهمة التي توقفت بموت الداعيين : ابي سفيان والحلواني.

والذي يبعث على الدهشة ان أبا عبد الله لم يقصد مجلس حجاج كتامة، إلاّ بعد أن سمعهم يتحدثون عن فضائل آل البيت، بحماس، وبعاطفة قوية، كأن ذلك هو الشارة المتفق عليها. لقد وجد الفرصة سانحة؛ فانضم الى مجلسهم، واسترسل في الحديث عن نفس الاتجاه، مستخدما مهارته في الكلام، مع حجة ساطعة وبيان ساحر، يصدرعن نفس

تتقد ايمانا وحماسا، وحدث ما كان متوقعا، حيث أعجب القوم بالرجل، ورغبوا منه أن يبقى على صلة دائمة بهم، فلبى رغبتهم، وهو في منتهى الغبطة والسعادة، لنجاح مسعاه مبدئيا. وعندما سئل عن وجهته بعد انتهاء مناسك الحج، أجاب وجهتي مصر. فازداد سرورهم بدوام صحبته، لأنها طريقهم الوحيد الى أرض المغرب. وفي الطريق، عاملوه كضيف شرف فأكرموه، وهونوا عليه مشقات الطريق، وأثناء الرحلة بدأ الداعي أبو عبد الله يتعرف على أحوال بلاد المغرب، تدريجيا، من خلال اجابات الوفد على أسئلته المتنوعة، واتضح له من خلال ذلك وجود عناصر متشعية لآل البيت، مع استعداد سكان بلاد المغرب، لتقبل فكرة جديدة، تخدم آل البيت الذين كانوا يلقون تقديرا كبيرا من جماهيرالسكان السنيين. كما اتضح له أيضا، قوة كتامة وشدة شكيمتها، وتمنعها على حكم الأغالبة، في حماية شيوخها وتقاليدها القبلية. كما عرف ان سكان بلاد المغرب وكتامة خاصة يقدرون العلماء تقديرا كبيرا، ويحتكمون اليهم في المهمّات من القضايا، لذلك وبسرعة مذهلة، تقمص شخصية معلم، يريد الاقامة في مصر للتعليم، وكان يقدر مسبقا أنهم لن يتركوه، بعد تعلقهم به، وسيعرضون عليه مصاحبتهم، ان أراد التعليم.

وفعلا تحقق ظنه حيث قالوا له : « اذا كنت تقصد هذا فبلادنا أنفع لك، ونحن أعرف بحقك. »

وكان ذلك بحق عرضا مغريا، ومخلصا، عمل جاهدا على تهيئته، لذلك استجاب بكل غبطة، وواصل طريقه معهم الى أرض كتامة يحدوه أمل قوي، بأنهم سوف يشدون أزره، ويساندونه في تحقيق المشروع الخطير، الذي أنيط بعهدته؛ ومن شأنه اذا نجح فيه أن تنقلب أوضاع بلاد المغرب كلها، وتتجسد آمال وأحلام ومطالب، آل البيت، من خلال الحركة الإسماعيلية.

ابو عبد الله في كتامة :

لقد اعتقد وفد حجيج كتامة، أن إستضافة ابي عبد الله، في بلادهم، تعد مفخرة كبرى، وحدثا لم يسبقوا به من قبل، ولذلك أكثروا من الوعود والإغراءات « لك من أموالنا ما تريد لوجه التعليم، وعندنا من إخوانك، ممّن يذهب الى ما أنت عليه، فلو رأوك، ورآك الناس، مارضوك إلاّ لشيوخهم، وصبيانهم. »

وان هذاالكلام وماتضمنه من عروض سخية، قصد به شحذ همة أبي عبد الله، وتقوية عزمه، على مواصلة السير معهم، بدون ندم، أو تردد. وحقيقة

الأمر : ان الرجل ماكان في حاجة الى شيء من هذاأصلا ان أقل العروض كانت أقصى أمانيه، يتعلق بها دون أدنى تفكير. لقد أعد لها هذه الرحلة الملتوية، والطويلة : من سلمية الى اليمن، عبر مصر، ومن اليمن الى مكة، ومنها الى مصر باب بلاد المغرب.

أبو عبد الله في ايكجان :

خصص الكتاميون للضيف الجديد استقبالا كبيرا، وتوسموا فيه خيرا كثيرا لبلادهم، غير أنهم عندما اختلفوا فيمن له حق ضيافته، وحول المكان الذي سينزل فيه، ولم يصلوا الى رأى حاسم يرضاه جميعهم، حرصا منهم على نيل شرف حمايته وتأمينه، رجعوا الى رأيه وحكّموه، وهنا طلع عليهم بمفاجأة فج الأخيار، ولم يكونوا من قبل حدثوه عن هذا المكان، الذي يقع بجوار قلعة ايكجان، وفي أرض بني سكتان إحدى عشائر قبيلة جيملة، التي ينتمي اليها أحد رجال وفد الحج وهو : حريث الجيملي. وجيمله الآن بلدية في ولاية جيجل. وبرر الداعي اختياره بقوله « ثم نأتي كل قوم منكم في مواضعهم، ونزورهم في بيوتهم، ولا نجعل لأحد منكم في نفسي حظا دون أحد. »

وهكذا انتهى الخلاف. واستقر بجوار ايكجان،

في حماية بني سكتان. فلنسأل عن طابع الحياة التي عاشها الداعي، وعن النشاطات التي مارسها بعد استقراره ؟

التنظيم والتوجيه :

إفتتح الداعي إقامته في ايكجان، بمفاجأة جديدة، للتأثير على مشاعر بني سكتان، ولاشعارهم بأهمية اقامته بينهم، فأوضح لهم، بأنه ليس بمعلم للصبيان، وليس من المتصوفة أهل التنسك السلبيين، وانما هو صاحب عقيدة سياسية دينية، لها هدف سياسي ... هو نصرة آل البيت، واقامة نظام سياسي لهم، بمساعدة الاخيار من هذه المنطقة الذين يسمى مكانهم في الأخبار : « فج الأخيار » وان اسمهم لمشتق من الكتمان، فهم كتامة .. ! وانتم خيارهم، « وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة انكم انصارنا، والمقيمون لدولتنا، وان الله سيظهر بكم دينه، ويعز بكم أهل البيت، وانه سيكون إمام منهم، أنتم أنصاره، والباذلون مهجتكم دونه، وان الله سيفتح بكم الدنيا كلها. »

هذا الكلام وأمثاله هو جزء من نشاط الداعي، الذي أخذ في التوجيه المعنوي، يبسط علوم آل البيت،

وفضائل علي بن أبي طالب، وذريته، لترسيخ هذه المعاني في نفوس السكان، الذين أقبلوا على السماع منه، وتوافدوا عليه، من مختلف الجهات، بقصد التمتع بأحاديثه الشيقة، والتعرف على شخصيته، وطابع حياته التي اشتهر عنها البعد الكامل عن ترف الحياة وملذاتها.

وكان هؤلاء الزوار يستمعون، ويأخذون العهد عن الداعي، ثم ينصرفون الى جهاتهم، ليواصلوا تنفيذ ما أمروا به، بينما كان بعضهم يفضل البقاء بجوار صاحب الدعوة، اعجابا به، وتعلقا بشخصه، وقد ساعد على الاقامة الى جواره، سماحة أخلاق بني سكتان، وكرمهم، وحسن رعايتهم للمجاورين.

وكان للداعي مجلس خاص يحضره خواص مع هؤلاء الزوار، وأثناءه كان يتلقى الإستجابة منهم بعد شرح مهمته القائمة على نصرة آل البيت أصحاب الحق الشرعي، في إمامة المسلمين، وراثة عن علي بن أبي طالب الوصي، من طرف الرسول (ص).

وكان كل مستجيب للدعوة، يعتبر أخا، لبقية اخوانه المستجيبين، لا يخاطب بغير يا « أخانا ». أما الأخ الأكبر، فهو الداعي نفسه. والتحية بين الاخوان ليست مصافحة، وانما تكون بالمعانقة، مبالغة في التقريب بين المستجيبين للدعوة، وتمييزا لهم عن

المعارضين او المترددين.

ولكي تنتشر الدعوة بين سائر القبائل في المنطقة كلها، عين ابو عبد الله مجموعة من الدعاة، كانوا يلقبون بالمشائخ، أو المقدمين، وكان نجاحهم كبيرا بين العامة، وأوساط الناس، في الأرياف، وفي المدن أيضا؛ أما الكبراء وأصحاب الثراء، وعمال المدن فقد وقفوا من الحركة موقفا معارضا؛ خوفا على امتيازاتهم، من هؤلاء المغامرين من الدهماء.

نظام الجزاء :

ولمزيد من الضبط، وتحديد الحقوق والواجبات، سن الداعي نظاما متقنا للجزاء، يطبق على المخالفين من الأنصار.

فعقوبة القتل مثلا اذا استحقها أحدهم، كان يتولى تنفيذها، أقرب الناس الى المجرم، تجنبا لطلب الأخذ بالثأر، أو للحساسيات العشائرية. أما ماخف من العقوبات، فكان الداعي يتولى تنفيذها بنفسه، أو يكلف بها غيره بالنيابة.

ولم ينس في هذه الناحية ماضيه القديم كمحتسب في البصرة، فكان يتدرج في عقوبة المخالفين أو تعزيرهم على قدر المخالفة. وكان أميل الى العقوبة

الأدبية والمعنوية، من غيرها. فيهجر المخالف، ويمنعه من حضور مجالسه، ويمنع الأنصار مخالطته حتى يتوب، فاذا تاب امتحن امتحانا صعبا، قبل أن يرجع اليه اعتباره، وهو كما ترى أشبه بالبراءة والتوبة عند اخواننا الاباضية، بالنسبة للمخالفين منهم لبعض تقاليد المذهب الاباضي. وحزم الداعي، وشدته في تطبيق الجزاء الذى سنّه، كان ذا نتائج طيبة على المجموعة، فاحتاط الناس كثيرا، وتحروا الصدق والأمانة، والتزموا بالوحدة المذهبية، كما كان يرغب الداعي، وتعاملوا بالإحترام المتبادل بينهم « وصاروا على أمر واحد، يتسمون إخوانا ويتواصلون سرّا وإعلانا. » كما قيل.

كذلك شاع جو الأمن والراحة، ونشطت التجارة، وإتسعت العلاقات في هذا الجو الآمن بين بني سكتان، وسائر فروع كتامة الذين أرسلوا وفودا للإستطلاع أو لإستضافة الداعي في جهاتهم، حتى لا ينحصر شرف ضيافته على فرع واحد من كتامة :هم بنو سكتان.

حركة الوفود وأهميتها :

وأهم هذه الوفود :

1 ـ وفد قبيلة مسالته برئاسة هرون بن يونس، شيخ المشائخ فيما بعد، وقد عرض على الداعي فكرة انتقاله الى مضارب مسالته، بناء على رغبتها.

2 ـ وفد قبيلة غسمان برئاسة الحسن بن هرون، وتقدم هو الآخر باقتراح مماثل، باسم أغلبية غسمان التي كانت تضرب حول قلعة تازروت (= الصخرة).

وقد شد انتباه الداعي، بحسن أخلاقه، ووعيه، وأصالة رأيه، وهذه ساعدت فيما بعد على انتقال الداعي الى تازروت.

3 ـ وفد اجانه، برئاسة أبي يوسف ماكنوت بن ضبارة، وابن أخيه الشاب أبي زاكى تمام بن معارك، الذى أعجب به الداعي كثيرا، لحيويته ونباهته وشواهد تعلقه بنصرة آل البيت، وكبير دعاتهم في المنطقة. وأصبح أبو زاكى هذا فيما بعد، من أخلص رجال الداعي المقربين، والملتزمين بنهجه، في التفكير، وفي العمل أيضا.

ان هذه الوفود إنما جاءت لتعبر عن الإتجاه الجديد الذى اقتنعت به ضمن هذه القبائل، مجموعات منها بتأثير حركة الدعاة، بينما بقيت مجموعات أخرى مترددة أو معارضة للدعوة.

فحركة الوفود اذا، لم تكن تعبيرا عن إجماع

المنطقة على قبول الإتجاه الجديد، لأنها لم تأت من كل المناطق، وإنما دلالتها، نجاح الدعاة في جلب مجموعات قبلية كبيرة، الى جانب الدعوة لآل البيت.

آثار الدعوة بين العشائر - رد الفعل :

ويبقى بعد ذلك أن نعرف بأن حركة الدعوة أوجدت البلبلة والقلق والإضطراب في المنطقة، وظهر التناقض حتى بين الأسر القريبة، بل بين الإخوان أحيانا فقد حدث أن وقف الأخ ضد أخيه، والأب ضد إبنه، والقريب ضد قريبه ... إن نتائج هذه الحركة كانت إنقلابية. ومن هنا نتساءل :

ما حركة المعارضة، وما أدوارها، وأهم نتائجها ؟

لقد كانت نقاط الضعف في الحركة التي يدعو اليهاالداعي : السرية، وغموض أهداف صاحبها، ومخالفتها لمذهب السنة، في البلاد، وهو مذهب مالك بن أنس، ثم تبنى أوساط الناس، الفقراء والمغامرين لمبادئها، لذلك تحاشاها كثير من النبهاء. ولعبت المنافسة على الزعامة، والعصبيةالقبلية، والخوف من ضياع المكانة، والإمتيازات دورا رئيسيا في حركة المعارضة، التي بدأت بحملة دعائية، لتشويه سمعة

الداعي وأنصاره، ثم تطورت الى محاولة الضغط القبلي، على بني سكتان، لقبول مجلس لمناظرة الداعي في آرائه وما يذهب اليه، أو للتسليم فيه، واخراجه من حمايتهم، فيصبح طريدا مهدور الدم.

وسلك المعارضون طرق الاغراء، للتأثير على شيخ بني سكتان، كما عمل - في نفس الإتجاه حاكم ميلة، خشية من النزاع القبلي، ومن انتشار الفتن التي قد تدفع الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد الى المجيء الى المنطقة، لإخراجه بالقوة. وفي مجيئه خطر كبير على عامل ميله وعلى غيره من الحكام شبه المستقلين في مدن كتامة.

وقد رفض بنو سكتان تسليمه، وذلك عندما رفض بعض المعارضين مشاركة علمائهم في مناظرته، لضعفهم العلمي أمام براعة الداعي. واعتقد بنو سكتان أن تسليمه لاي كان يلحق بهم معرّة كبيرة، فيما لو تعرض لأى خطر ما، سواء أكان من جانب المعارضين، أو من حاكم ميله. لأنه في نهاية الأمر ضيفهم، ومحمي بهم.

ويبدو ان الداعي قد أحس بأن الخطر سيحدق به لا محالة وأن أسلوب الاغراء والوعود التي منحت لزعيم بني سكتان، لا بد أن تثني عزمه في النهاية، وتؤثر في

موقفه، سيَّما وأنه ما زال بعد على مذهبه السني المالكي.

لذلك مال الداعي في هذه المرحلة الدقيقة من حياته الى الإحتجاب، والتستر إلا عن أخص رجاله. ثم قبل أخيرا رأى هؤلاء، بترك ايكجان مؤقتا، حتى تهدأ الفتنة، وتختفي المعارضة القبلية.

وهنا تذكَّر هؤلاء، كما تذكَّر الداعي، أن الحسن ابن هرون، زعيم غسمان، كان قد قدم عرضا باسم أغلبية القبيلة، بالإستعداد لإستضافة الداعي في منطقتهم، وفي قاعدتهم تازروت.

واذا فلا وجهة في هذا الوقت غير هذه الوجهة الجديدة الآمنة .. في حماية غسمان وزعيمها الحسن ابن هرون.

الداعي في تازروت ـ دار هجرة جديدة :

إنتقل الداعي الى تازروت، تاركا ايكجان خالية من عناصر القوة والمجد، واتخد غسمان وأحلافها أنصارا وأعوانا، وقفز اسم الحسن ابن هرون الى الصفوف الأولى، بين أنصار الداعي فيما يدعو اليه.

وأخذت تازروت مركز ايكجان، فقصدها أنصار الحركة من كل مكان، وإنصرفوا عن ايكجان التي تأثر

مركزها كثيرا، وخسر بنو سكتان شهرتهم التي تمتعوا بها سابقا. ولم يجِدهم نفعا ندم زعيمهم، ووعده إياهم بأنه سيسعى لإرجاع الداعي اليهم.

وفي هذه المرحلة وقعت عدة تطورات أهمها : سرعة انتشار الحركة في أماكن بعيدة، وصيرورة الداعي وأنصاره الآن، في عمق أرض كتامة، وعلى مسافة قريبةمن أهم حواضرها الكبرى، مثل ميلة، وسطيف. ولم تنقطع حركة القبائل اليه، في هذا المركز الجديد، وكان بعضها يفضل البقاءالى جواره، بترحيب كامل من غسمان وأحلافها، لأنهم كانوا يريدون أن تصبح بلادهم، مركز جذب، وحركة نشاط وصدارة أيضا.

أما وضع الداعي هنا فقد تحسن كثيرا، فبينما كان في ايكجان شبه محاصر، في مركز بعيد، ومنعزل، يعيش حياة التستر، أصبح الآن في تازروت ظاهرا، ونشيطا، بسبب اطمئنانه الى صدق وإخلاص حلف غسمان، ولمزيد من ارضاء غسمان أعلنت تازروت دار هجرة جديدة. وهذا تشريف كبير لم تحظ به غير مدن قليلة في المشرق العربي، كما أحيطت بسور، وبنى بها الداعي مقرا دائما له، كما بنى أنصاره دورا مناسبة لهم.

أماأعظم التنظيمات، فهو اعتبار أنصاره كلهم

جنودا للدعوة، ولذلك قسمهم الى سبعة أقسام ـ تبركا بالعدد (7) الذي هو مقدس عند الاسماعيلية. وجعل لكل قسم من الأنصار جيشا متطوعا، له قيادته المستقلة. وتكون مهمة كل قسم الدفاع عن المنطقة الخاصة بفروعه، ولا يتلقى أوامره الا من الداعي نفسه. الذي أصبح هوالقائد العام.

وهذا الإجراء يعني اعتبار التربية العسكرية عاملا مهما، به تتعزز التربية المذهبية « وآية السيف تحمى آية القلم » كما قيل. كما يعني بداية التدريب على مواجهة الاحداث الخطيرة التي تنذر بهاأجواء المنطقة، بسبب حسد الحاسدين، وغيرة المعارضين.

ولقد برهنت الأحداث على صدق فراسة الداعي، وعلى صواب رأيه وتوقعاته ذلك أن الذين تسببوا في إخراجه من ايكجان، كرهوا أن يروه في هذاالمركز القوى، في حماية حلف غسمان، ولذلك نقلوا نشاطهم التخريبي ضده، وضد أنصاره الى قبيلة غسمان، متمسكين بالدعاوى القديمة ضده، ومستغلين أيضا الصراع بين رجال القبيلة على الزعامة.

ومحاولات المعارضين الاضرار بالداعي وأنصاره تركزت حول أمرين :

1 ـ أسلوب الضغط والاغراء، بتقديم أظهر

شخصية في غسمان للزعامة على كتامة كلها، اذا نجح في تهيئة الجو المناسب، للتخلص من الداعي بالقتل، اما أثناء تنظيم المناظرة بينه وبين علماء المنطقة، أو أثناء طرده من مضارب غسمان، حيث تنقض عليه القبائل المعارضة، وتريح منه المنطقة كلها. وتولت قبيلةلهيصةالتفاوض باسم حركة المعارضين.

2 ـ أما الأمر الثاني فيتمثل في زحف كل القبائل المعارضةللدعوة، ضد تازروت وقبائلها، وفرض حصار عسكري واقتصادي عليها، حتى تستسلم أو تسلم الداعي، أو تقع ابادتهم جميعا.

ورأى المعارضون ان خير وسيلة للثبات في الحرب حتى النصر، هو أن يستصحب المحاربون معهم نساءهم وأطفالهم وأثقالهم، ليستميتوا في الدفاع عن شرفهم وأموالهم.

كما رأوا ان يتوزعوا مسؤولية حصار تازروت، من عدة جهات، حتى تختنق وتذعن لرأى الاحلاف المعارضين، وهم في هذه المرحلة، كتلة قبائل سطيف، وكتلة ميلة، وكتلة مزانة، وكتلة بقية حواضر كتامة.

أمام هذه التحركات المعارضة، لنا أن نسأل ماذا كان رد فعل الداعي ؟ ماهو اسلوبه في التعامل معهم، دفعا لهذه التدابير الخطيرة ؟

ابو عبد الله ومرحلة الحسم مع المعارضين :

لقد برهن الداعي على دهاء ورباطة جأش، وحنكة سياسية، عندما أجهض مشاريع معارضيه، بوسائل جد فعالة، وأهمها :

أ - أوجد حلا لمشكلة الصراع على الزعامة في اطار قبيلة غسمان، حيث ساقها برضا الجميع الى الذى وضع الأحلاف امالهم فيه ليصرفه عنهم.

ب - وفي نفس الوقت دس وسط قبيلة لهيصة، التي فاوضت باسم المعارضين، من عرف نواياها، ومقاصدها، عندما طلبت تهيئة المناظرة مع الداعي.

ج - وكانت فرصة ثمينة له، عندما تسرع المعارضون، وتحدوا غسمان في مضاربها، وسقط من الفريقين ضحايا، فطلب الداعي من غسمان التهيوء للأخذ بثأر قتلاها من لهيصة.

وهذا كان يعني كما خطط الداعي اشعال الحرب القبلية التي بها يستطيع أن ينتقم من لهيصة ويخضعها، ويعمّم الحرب ضد غيرها من المعارضين.

أما تعامله مع الذين فرضوا حصارا على تازروت فقد انبنى على أساسين :

أ - أساس المسالمة، واظهار الرغبة في

الموادعة، والعيش بأمان، مع الجميع، في إطار احترام الحرية المذهبية، والشخصية.

ب - وفي نفس الوقت، ولعلمه بأن هذاالعرض مرفوض، من طرف المعارضين قطعا. فاجأ المحاصرين بالهجوم ضد كل فريق على حدة. فزعزع صفوف فريق ميلة، والحواضر، وسطيف، ومزاتة، وافتك في النهاية النصر من أخطر حركة عدائية داخلية هددت وجوده، وجهوده بالتصفية التامة.

وألجأ خصومه الى الفرار، إما الى ميلة، أو الى سطيف، وقد حاول الذين استقروا في سطيف، أن يثأروا لهزيمتهم، بمساعدة قبيلتي عجيسة (ولاية المسيلة حاليا) وزواوة، لكن مساعيهم خابت، فاضطر رئيسهم فتح ابن يحي المسالتي الى مغادرة المنطقة، والاستقرار مؤقتا في رقادة، عاصمة الأغالبة، حيث نشط في ذم الداعي، وفي التشهير بحركته، كي ينبه صاحب الأمر أباالعباس عبد الله ابن ابراهيم ابن أحمد الأغلبي الى الخطر الجسيم، على نفوذه في كتامة، وفي منطقة الزاب عموما.

ولا بد أن يكون فتح ابن يحي قد أوضح لهذا الأمير : حقيقة توسع نفوذ الحركة الجديدة، وقوة ساعد الداعي، بكثرة الأنصار الذين انضموا حديثا، ومنهم

عجيسة وزواوة.

كذلك توفر الداعي على مجال واسع من الأراضي، وعلى أموال، وغنائم كثيرة، أما شهرته وأخبار انتصاراته، فقد عمت الحواضر والبوادي.

وبفضل حنكته ودهائه واصطناعه الوجوه الجديدة، واستغلاله للفتن، وللمنافسات بين الكبراء في المنطقة، أسفر الوضع، بعد النصر، على وجوه العهد الجديد، ورموزه، ومن بينهم : الحسن ابن هرون، وعروبة ابن يوسف وأخوه حباسة، وابو زاكى تمام ابن معارك، وعمه ماكنون ابن ضبارة. وهؤلاء هم الذين ضاق بنشاطهم مجال كتامة، وافريقية، والمغرب، فوسعوه الى أرض مصر وبلاد الشام فيما بعد.

حركة التوسع - ضم ميلة :

وعندما اتضح للداعي أن مدينة ميلة - عاصمة منطقة كتامة - قد غدت مركزا لتجمع فلول المعارضين، في حماية عاملها « موسى ابن العباس »، ضبط خطة لاقتحامها، دون اراقة الدماء بكثرة، وقد تم له ما أراد بمساعدة معتبرة، قدمت له عن وضع المدينة، من طرف أسرة عربية هي أسرة بني خنزير. فدخل المدينة بالأمان، ولم يمس بالأذى عاملها موسى ابن العباس، إلا بعد

أن تورط في التآمر، حيث طلب النجدة من الأغالبة، عندئذ قتله مع بقية زعماء القبائل المعارضين. وبذلك صفا له الجو، واستقرت أوضاع منطقة كتامة لصالحه، أمام فشل زعمائها في الحاق الهزيمة به.ولم يبق بعد هذا إلاّ رد الفعل الخارجي سواء أكان مصدره العباسيين، أصحاب السيادة الشرعية، أو الأغالبة أصحاب السيادة الفعلية، على المنطقة، بتفويض من العباسيين فلنتتبع ما جرى في هذه المرحلة، والى أى حد استجاب هؤلاء أو أولئك لداعي الاحداث الخطيرة في منطقة هم مسؤولون عنها ؟

العباسيون وحركة الدعوة :

لم ينتبه الخليفة العباسي المعتضد بالله الى طبيعة الأحداث التي كانت تجري في كتامة، الا بعد أن تمكن عبيد الله « المهدى » من ترك سلمية بالشام، الى مصر، ومنها فضل التوجه الى بلاد المغرب، وتحاشى التوجه الى كتامة مباشرة، حيث داعيته الكبير، وانما فضّل التوجه الى سجلماسة، إمعانا في التخفي والتستر، عن العلاقة بينه وبين هذا الداعي الناجم، في أرض كتامة (شمال قسنطينة).

وقد تركت مهمة معالجة هذه القضية الى الخليفة

المكتفى بالله، الذي ولى بعد المعتضد بالله.

والواقع أن هذا الخليفة بذل جهودا كبيرة، من أجل ملاحقة عبيد الله، والقبض عليه، لكن عطف بعض ولاة الخلافة خاصة في الشام ومصر، على قضية العلويين، آل البيت، حالت دون تحقيق شيء ضد عبيد الله، صاحب الدعوة في كتامة، وضد تيار الشيعة الاسماعيلية في اليمن وفي البحرين كذلك.

ومع هذا فالمكتفي بالله، شجع الامير الأغلبي زيادة الله الأخير، على حركة الجهاد ضد الداعي، فأمده بالتأييد الأدبي والمعنوي عندما اعترف به أميرا نائبا عنه، في افريقية، وأرسل اليه منشورا، يتضمن رضاه عنه، ودعوة جماهير السنة في افريقية، الى الوقوف صفا واحد وراء زيادة الله، لتقوية حركة الجهاد، ضد المارقين عن الدين « أوباش كتامة، أشياع الضلال، الباغين في الفتن »، وضد عدّو الله الخارجي الناجم بأرض افريقية » والمغرب (= الداعي).

ولقد كان لهذا المنشور تأثير محسوس على السكان في افريقية، وفي غيرها، حيث قرئ على المنابر في القيروان وفي رقادة، ونسخت منه صور، بقصد قراءتها في حواضر أخرى.

ويعتبر هذا الموقف من الخليفة العباسي كافيا،

في ظل الظروف الدقيقة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية في المشرق، وأيضا بسبب بعد المسافة بين المشرق وافريقية، ولتعذر ارسال امدادات اليها، ولهذا فالجهد المادى ومواجهة الحركة بالقوة العسكرية وبالنشاط السياسي، يبقى من نصيب أصحاب السيادة الفعلية على افريقية، وهم بقايا الأغالبة. فكيف كان رد فعل هؤلاء، بدءا من ظهور الدعوة ؟

الأغالبة وحركة الدعوة :

مرت حركة المقاومة الأغلبية للدعوة الاسماعيلية في كتامة، بعدة مراحل، غطت عهود ثلاثة من أمراء الدولة في عصرها الأخير، وهم : ابراهيم ابن أحمد، وأبو العباس عبد الله ،... وأبو مضر زيادة الله الثالث والأخير.

أ- فابراهيم ابن أحمد، لما سمع بأخبار الداعي استفسر عنه عامل ميله (موسى ابن العباس) فأجابه بأنه رجل خيّر، زاهد متصوف، لايخشى بأسه، فانصرف مؤقتا، بدون اقتناع، فلما عرف تطور الاوضاع بسببه، وفشل عامل ميله في حل المشاكل القبلية التي حصلت بسبب حركته، كما فشل في الاقناع بطرده، أوبتسليمه اليه، وبدأت الحروب القبلية، أرسل رسولا من

قبله الى عامل ميله، ليمهد السبيل، مع بني سكتان، حماة الداعي، لكي يوافقوا على الاتصال به، وبعد أخذ ورد، وافق الداعي على الاتصال برسول الأمير الأغلبي، الذي حضر سرا الى ايكجان.

وأثناء اللقاء الذي تم بين الرجلين أوضح الرسول للداعي مبلغ تذمر الامير، من تطورات الأوضاع بكتامة، بسبب دعوته، وكذلك أبدى استعداد الأمير لمساعدته، حتى يرجع الى المشرق، أو يستقر ضيفا على الامير في عاصمة ملكه رقادة إن رغب في ذلك، وختم كلامه بتهديده، بالقوة العسكرية، لإخراجه كرها من المنطقة، وتأديب « أوباش » كتامة ان تمادى في حركته.

وكان رد الداعي على رسول الأمير الأغلبي، في منتهى الشدة والجفاف، فمع تعريضه بشذوذ هذا الأمير، وتطرفه، وقرب زوال حكمه، ورفض كل عروضه المادية، أوضح للرسول بأنه داعية سياسي للامام المكتوم من آل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وأساس أولى لنظام دولة المهدى، وشيكة الظهور، وانه فقط ينتظر فرصة مناسبة لبدء العمل المادي لتحقيق هذا المبدأ المقدس، والمحبب عند جميع المؤمنين؛ وختم كلامه مع الرسول بأن حمله « دعوة الأمير ابراهيم ابن أحمد الى الله، والى كتابه، والى الامام المهدى » لتكون له

ميزة السبق بين الأمراء.

لم يجد الأمير الأغلبي - بعد فشل رسوله - وسيلة تفيد حكمه، غير محاولة التقليل من أهمية الداعي، وأنصاره في كتامة. بيد أنه تصرف في المرحلة التالية تصرف من شعر بالندم، وبالذنب على قسوته وشدته، تجاه أقربائه ورعيته، فسلك سياسة لينة ومعتدلة ورحيمة، تجاه كل طبقات المجتمع، خاصة المحرومة منها، وقرّب الفقهاء والعلماء اليه، وأخيرا غادر رقادة الى قيادة حركة الجهاد ضد الكفرة في صقلية، حيث توفي هناك في أواخر 289هـ / 901 - 902م، وولي الأمر بعده ابنه أبو العباس عبد الله.

ب - في هذا العهد، الذي تطورت فيه الحركة في كتامة، بسبب كثرة الأنصار، وحيازة مدن كبيرة مثل ميله، وإفراز المعركة لمجموعة من القادة المحليين المخلصين للحركة وللداعي، لم يبق من خيار امام الأمير الأغلبي الجديد غير المقاومة العسكرية العنيفة، والعمل السياسي والدعائي القوي، والهادف الى كشف مخاطر الحركة وشذوذها ومخالفتها للدين، ولعقائد المجتمع المغربي.

عين أبو العباس عبد الله قائدا كفؤا للعمليات العسكرية، هو ابنه أبو عبد الله الأحول، وجعل تحت

أمرته جيشا قوامه اثنا عشر ألفا بين فرسان ومشاة، أغدقت عليهم الأموال، وأجزلت لهم الهدايا، ومنوا بالمزيد منها بعد النصر.

وقد انضاف الى ذلك، تأييد بعض زعماء كتامة، وولاة المدن والحواضر فيها وفي منطقة الزاب لهذا الجهد، ثم هناك مجموعات قبلية عارضت الدعوة منذ البداية، واستمرت صامدة تحميها تقاليدها السنية ومذهبها المالكي؛ وهي تنتظر شارة العمل الجاد، لتنضم اليه بكل قواها.

ويبقى لضمان النصر والنجاح ضد الداعي، جانب مهم يتمثل في مدى توفيق الأحول في خطته وهي : تخذيل الزعماء المخلصين للداعي وللحركة، وضمهم الى جهوده بالوعود، وبالاغراءات، ليحدث بذلك ثغرة في نظام الدعوة، فيما لو نجحت الاغراءات وانساقت القبائل الى زعمائها. وتركت الداعي وحيدا يندب حظه.

وهذا ما لم يحصل أبدا، كما كان مخططا له، لذلك نرى قائد الحملة عندما لاحظ شدة انصارها، ووقوفهم جميعا صفا واحدا لنصرتها، مهما كانت التضحيات يعلن التعبئة العامة في أشد صورها، منذ ان دخل أرض كتامة، ويسهر بنفسه على نظام الأمن،

داخل مجموعات الجيش، فكان لا يسير الا نهارا، واذا عسكر في مكان يخندق حواليه، وكان الجيش يستقر في الأماكن عادة قبل غروب الشمس، وكانت الحراسة على المنافذ، ومن داخل الخندق، وحول المعسكر من خارجه، تبدأ من غروب الشمس الى الصباح، كل ذلك للتخوف من حركات مفاجئة.

وهذا الضبط، والاستعداد للحرب في أية لحظة، هو سر توفيق هذه الحملة في إلحاق الهزيمة برجال الداعي في أرباض تازروت والتي ألجأتهم الى ترك المدينة نهائيا، واستقروا مؤقتا في ميلة، ثم تركوها سريعا الى ايكجان حيث يتوفر الأمن وحصانة الموقع. وفي هذه الظروف توفي الحسن ابن هرون، زعيم تازروت فكان هذا ايذانا بنهاية دور هذه المدينة، وحلف غسمان، خاصة وان الأحول عندما اقتحم المدينة ووجدها خالية من ذخائرها، ولم يجد الداعي وأنصاره، هدّمها وأشعل النار في بقاياها، وتركها الى ميلة مقتفيا أثر الداعي، ليقضي على ما بقي معه من أنصار.

وكانت مفاجأة مذهلة له، عندما وجدها مدينة خالية، فتحاشى التوغل فيها واتجه نحو ايكجان، لكن المفاجأة التي كانت تنتظره بتدبير الداعي قرب عين كرمة، قضت عليه بالفشل وبالانسحاب السريع، الى

رقادة اثر هجوم مفاجىء شنته كتيبة من أنصار الداعي على قواته، وكان رجالها مختفين وراء الصخور، ووسط الشعاب والفجوج، فألحقت بهم الهزيمة، وشتتت شملهم، فانسحبوا ليلا على ضوء المشاعل الى افريقية، عبر سطيف وطبنه وباغاية.

وفي رقادة شرح الأحول لأبيه أبي العباس مالقيه من توفيق في قتال الداعي فسُرَّ هذا وأمدَّه بقوة أخرى، اصطدمت بالداعي في مضارب قبيلتي ملوسة، ولهيصة، وكان حظها الهزيمة مرة أخرى، فترك الأحول المنطقة وانسحب الى سطيف، ومنها نفذ الى رقادة. اما الداعي فرجع ظافرا الى ايكجان دار هجرته، ومعقله الحصين، يرقب تطورات الأوضاع في افريقية بعد هذه الهزائم المرة التي حلت بخصومه. وسرعان ما حملت الأنباء اليه خبر وفاة أبي العباس عبد الله، ولحاق ابنه الأحول به، كل ذلك بتدبير خاص من آخر أمراء بني الأغلب زيادة الله الثالث ابن أبي العباس عبد الله.

ج - وفي الوقت الذي اغتبط فيه الداعي بهذه التطورات الايجابية لصالحه، انصرف الأمير الأغلبي الجديد الى مواصلة الاعداد للمواجهة الحاسمة مع الحركة الاسماعيلية في كتامة.

ورأى أن مقدمة المواجهة يجب أن تكون

حتما :

أ - بتعبئة الجماهير السنية، والمالكية منهم خاصة **للتشهير** بالحركة.

ب - ثم بتنظيم أجهزة الدولة المدنية والعسكرية.

ج - وأخيرا بتقوية صلاته بالخلافة العباسية، **ليحظى** بالشرعية وبالتأييد المعنوي.

وعندما أنجز هذه المهمات الكبيرة، صرف جانبا من **عنايته**، للاهتمام بالجند، وبعاصمة الدولة رقادة، **وكذلك** بباغاية « قرب خنشلة »، باعتبارها ثغرا حصينا **للامارة** بالقرب من كتامة، ثم بطبنة أيضا (قرب **بريكة**)، باعتبارها عاصمة منطقة الزاب كلها التي **كانت** كتامة تعتبر جزءا منها.

وقد حدد مهمة طبنة بدقة، حيث كلف واليها **بتركيز** الغارات على منطقة كتامة، وبتشديد الضغط على **سكانها**، لتنهار مقاومتهم، ويتضرر اقتصادهم؛ فيتخلون **عن** الداعي تدريجيا.

والخلاصة أن الأمير زيادة الله رغم ما قيل عن **أخلاقه** وتصرفاته الشاذة، أظهر مقدرة فائقة في التصدي لحركة الداعي في كتامة، ولم يضعف أمام الهزائم المتوالية رغم التركة الثقيلة التي آلت اليه في هذه المرحلة، من عمر الإمارة الأغلبية، وهي مرحلة الهرم

والانحطاط. بل أعطى هذا الأمير مثلا مشرفا للقادة ولكل المسؤولين، على مصائر الدول، بحزمه وبنشاطه ويقظته، وبتصديه لكل المفاجآت. ومع اكتمال التهيئة من جانبه لم يبق الا بدء حركة التنفيذ. فكيف استأنف الامير العمل العسكري الآن في هذه المرحلة ؟

أبو عبد الله يضم سطيف :

واصل الداعي حركة ضم مدن كتامة وذلك استغلالا للظروف الناشئة عن اضطراب الحياة السياسية في رقادة، وبعد ان استحوذ على ميلة، وصيرها من مراكزه القوية، اتجه ببصره نحو حصن سطيف (مضارب مسالتة).

وكانت قد ظهرت أهميته اثناء الجهود الأغلبية ضد الداعي، كما غدا مركزا للمعارضين للحركة الجديدة من مسالته ومن العرب، ومنه عبأ الأحول صفوفه، وانطلق لتأديب المؤيدين للداعي، في مجيريس، ثم لحصار تازروت وايكجان. وحصن سطيف له أهمية خاصة، بسبب توسط موقعه، وقربه من مراكز الدعوة، وسقوطه في يد الداعي، سيحرم الامارة الأغلبية من قاعدة حصينة وموالية في المنطقة، يكلفها عبئا ثقيلا، ويحتم تغييرا في مسيرة الحملات الموجهة ضد ايكجان في المستقبل.

لذلك بذل الداعي جهودا عسكرية، وسياسية **مكثفة**، لضم هذا الحصن الى دائرة نفوذه، انطلاقا من **ايكجان**، ولم يفتّ في عضده تمنّع السكان عنه وشدّة **مقاومتهم** للحصار الذى ضربه على الحصن، بل رفع **الحصار** مؤقتا، لمزيد من الاعداد، وفي هذه المرة لم **يتراجع** عن خطته التي نجحت أخيرا بمقتضى منح **الأمان** للسكان، في فتح أبواب المدينة لرجاله الذين **هدموا** أسوار المدينة العنيدة، ونكّلوا بمن شاءوا من **سكانها**.

وبعد فترة اطمئنان، رجع الداعي الى ايكجان، **التي** غدت مركزا لتوجيه القوة العسكرية اللازمة لنشر نفوذ **الحركة** وضم مدن المنطقة تدريجيا.

وانطلاقا من أهمية دور ايكجان، في هذه المرحلة، من تطور الدعوة الاسماعيلية، انصرفت جهود **الأمير** زيادة الله عن تحرير سطيف، الى تركيز قوته، **للهجوم** الكاسح، ضد ايكجان عن طريق جديد هو طريق باغاية - قسنطينة، وهذه من أكبر حواضر كتامة.

معركة كينونة وفشل الهجوم الأغلبي :

وهكذا جهز الأمير منذ أواخر 291هـ / 904م حملة عسكرية أعد لها طويلا، وعهد بقيادتها الى أحد

رجال البيت الأغلبي، وهو ابراهيم ابن حبشي، الذي لم يشتهر بالبسالة والشدة في الحروب، لذلك أوصاه الأمير بتغيير خط السير نحو هدفه (ايكجان)، فيكون الآن باغاية - قسنطينة - ايكجان.

كما أوصاه بأن يصرف بسخاء على الجند، ويؤلف قلوب السكان والمعارضين، بالهدايا، حتى يخلصوا في العمل ضد الحركة، وأمره بأن يفاجىء خصمه اما في آفاق ايكجان، أو يستدرجه بعيدا عنها، باستخدام أسلوب المناورة والتمويه.

تحرك ابراهيم ابن حبشي بجيشه، وانضم اليه رجال من حامية طبنة، وباغاية، واستقر بجوار قسنطينة كبرى مدن المنطقة يعدّ ويهيء وينتظر الفرصة في الداعي حتى ملّ جنوده البقاء من طول فترة الانتظار، بدون مواجهة الداعي وأنصاره رغم أنهم كانوا في مواطن قريبة جدا منهم.

ويبدو أن أنصار الداعي انزعجوا بوصول هذه القوة الجديدة، وفضلوا بدلا عن المواجهة، أسلوب الانتظار، ومحاولة استدراج اعدائهم للمعركة، في ظروف مواتية لهم، مع بذل كل الجهود، لمعرفة ما يجري في معسكر أعدائهم، بواسطة الرقباء، والطلائع، والبعوث.

وإحدى هذه الطلائع هي التي إصطدمت فيما

بعد بقوة الجيش الأغلبي عندما بدأ تحركه، نحو عين كرمة الموالية للداعي. وفي مكان قريب منها يسمى كينونة، بادر ابراهيم ابن حبشي بالهجوم بنفسه، على هذه الطليعة قبل ان يستقر رحله، ويرتب رجاله، ويرسم خطته المستقبلية، فكانت فرصة بل كمينا وقع فيه رجاله الذين فوجئوا بظهور قوات أخرى موالية للداعي، كانت تنتظر هذه الفرصة، وكانت فرصة سعيدة فعلا لرجال الداعي، حيث تمكنوا من الحاق الهزيمة بأعدائهم، حتى ألجأوهم الى الانسحاب السريع من المنطقة كلها الى باغاية، ومن هذه المدينة أبلغ ابراهيم ابن حبشي الأمير زيادة الله بالهزيمة، وواصل سيره الى رقادة، خوفا من وصول أوامر جديدة قد تلزمه بالبقاء، أو بمعاودة الهجوم.

أما نتائج هذه المعركة، فكانت بمثابة الكارثة للنظام الأغلبي، أو بدايةالنهاية لحياة الأسرة الأغلبية. لقد وضعت هذه المعركة حدا للقوة الهجومية الأغلبية، كما أفقدتها كبرى مدن كتامة وهي قسنطينة. ولم يبق بعد ذلك الا انتظار سقوط حواضر أخرى بدون تضحيات من طرف الداعي وأنصاره، وبدون انتظار قوة هجومية أغلبية أيضا.

ان دور الأمير الأغلبي انحصر بعد هزيمة كينونة،

في التزام جانب الدفاع، وهذا لاسترجاع نَفَسِه، ولتقييم الوضعية المتردية بسرعة.

لقد حان الآن دور قاعدة الزاب الكبرى، لقد نضجت طبنة، وحان قطافها، وان الداعي وأنصاره لمنتظرون الموعد المحدَّد. فكيف مدّ الداعي يده الى حاضرة طبنة العتيدة ؟ وماهي ردود الفعل ؟

الداعي يضم طبنة وبلزمة :

بعد هزيمة كينونة الحاسمة، أصبح رجال الحركة الاسماعيلية أحرارا في التحرك الى أية نقطة في اقليم كتامة والزاب.

وقد غدت طبنة عاصمة الزاب، وكبرى مدن المنطقة هدفا مباشرا لرجال الداعي أبي عبد الله.

ومبررات الإستيلاء عليها من وجهة نظر هؤلاء :

أ - دورها في حياة الامارة الأغلبية كقاعدة في خط الدفاع الاول، عن مدينة رقادة عاصمة الدولة.

ب - وموقعها المتوسط الذى يجعل من السهل وضع اليد على بلزمة، وباغاية، وتيجس والقيروان.

ج - ثم تحصن كثير من المعارضين من كتامة في المدينة، وعلى رأسهم فتح ابن المسالتي « الأمير »، وهو من كتامة نواحي سطيف. وكان من أشد أعداء الحركة

الاسماعيلية.

د - كانت طبنه مركزا لحامية أغلبية، ويشرف عليها وال يمثل الأمير زيادة الله الأخير.

ج - وهذه الحامية هي التي ظهر دورها الإيجابي أثناء الزحوف الأغلبية ضد ايكجان.

هـ - والاستيلاء على طبنه، يعد سقوط سطيف وقسنطينة، يعتبر أمرا طبيعيا بالنسبة لحركة توسعية.

و - هذا فضلا عن الميزات الاقتصادية التي سيظفر بها الداعي بعد إحتوائه لمدينة طبنه وأحوازها، الغنية بالزروع والثمار والخيرات.

وهذه المبررات هي التي دفعت الداعي الى الانطلاق من ايكجان، عبر سطيف الى مدينة طبنه، وقد فوجىء الداعي باصرار السكان على المقاومة، فلم يجد مفرا من استخدام أسلوب جديد، في اقتحام المدن المسورة، فقد اعتمد رجاله على دبابة أصبحت في حوزتهم، لإسقاط أحد أبراج السور بعد إحداث ثغرة فيه. وبذلك تمكنوا من دخول المدينة، غير أن جزءا من سكانها بقوا يقاومون في إحدى جهاتها معتصمين بأحد حصونها، وزادهم اصرارا على المقاومة، سماعهم بأخبار نجدة أغلبية، لتحريرهم قادها من بيت بني الأغلب، ابراهيم ابن حبشي، وانطلقت في شهر محرم

293هـ / نوفمبر 905م. غير أن عدم وصول هذه النجدة، وبعد مدينة باغاية عنهم، جعلهم يقبلون الإستسلام بعد منح الأمان لهم.

ونهاية المقاومة كانت حدثا سعيدا بالنسبة للداعي، إذ إنصرف بعدها الى تنظيم شؤون المدينة، فجعل أوضاعها تسير وفق العدل، والشرع الاسلامي، كما تمكن من تصفية بقايا المعارضين، ومنهم : فتح ابن يحي المسالتي.

وأما النتيجة الكبرى فهي سهولة التحرك لمد نفوذ الحركة الى حصن بلزمة ونواحيه، وكان هذا الحصن منطقة نفوذ أغلبية، يحكمها فرع من بني تميم، عصبية الدولة الأغلبية، وكان هؤلاء حربا ضد كتامة، غير ان ذلك لم يفدهم شيئا، في نظر الدولة التي أنزلت من قبل عقابها الشديد بعرب بلزمة التميميين، بسبب تمنعهم عنها، فأضعفتهم في وقت بدأت فيه ريح كتامة تهب بقوة على المنطقة وتنذر بشر مستطير.

فرغم كراهية سكان بلزمة لحكم الأغالبة، ولمعرفتهم مسبقا بنوايا كتامة، فانهم لم يستسلموا بسهولة لرجال الداعي، رغم الحرب الاقتصادية التي شنت عليهم، وأتلفت زروعهم وأشجارهم، ورغم شدة الحصار، ونقب الاسوار، والنفاذ الى داخل الحصن،

فان الذي فت في عضدهم هو الضائقة الاقتصادية التي قضت على ذخائرهم ومؤنهم، حتى اضطروا لأكل الجلود والدرق، فلما غلب عليهم الجوع إستسلموا للأمر القاهر، فحلت بهم النقمة بعد ذلك من طرف الداعي وأنصاره، بحيث لم يترك هؤلاء المدينة الا بعد أن هدموا أسوارها، وصادروا الأموال، والأمتعة، وقتلوا عناصر المقاومة.

معركة فحص الرماح وهزيمة الأغالبة :

كان رد الأمير زيادة الله على الحادث، تجهيزه لحملة بقيادة ابراهيم ابن الطبني، كانت مهمتها تحرير المدينة، وتأديب عناصر بني يملول (قرب خنشلة). لأخذهم بالحركة الاسماعيلية، وقد أنجزت هذه الحملة بعض المهام، ضد بني يملول وغيرهم، ولكنها لم تحرر مدينة بلزمة، ولم تحافظ على المكاسب التي تحصلت عليها، بسبب عدم كفاءة بن الطبني، وعدم قدرته على السيطرة على جنوده الذين إنسحبوا منهزمين من مكان فحص الرماح (بني يملول)، بسبب براعة القائد الكتامي عروبة ابن يوسف قائد كتيبة الداعي، الذي لم يكتف بهزيمة خصمه وتشتيت شمل رجاله، بل قتله أيضا. فكانت هذه الحادثة أيضا من كوارث الامارة الأغلبية نتج عنها :

أ ـ سرعة انتشار نفوذ الحركة الاسماعيلية، والاقبال عليها في بقية حواضر الزاب، بعد انتهاء أمر إقليم كتامة.

ب ـ ظاهرة الرهبة من نفوذ رجال الحركة، ومن عقابهم خاصة، وأنهم أصبحوا لا يغلبون، في وقت فشلت فيه جميع جهود الإمارة الأغلبية، لوقف تيارهم المندفع.

جـ ـ اتساع دائرة نفوذ الداعي في الزاب.

د ـ حسن إستغلال أنصار الحركة للإنتصارات المتتالية، وتكثيف الدعوة لجلب مزيد من الأنصار، ومزيد من المدن، بدون زحف أو اراقة دماء، ظهر اثرها جليا في :

ـ انضمام مدينة تيجس (قرب سوق أهراس)، ثم مدينة باغاية الى دائرة النفوذ الاسماعيلي، تم ذلك في شعبان 294هـ / 906م برضا سكانهما.

ـ كما إنضمت بعدهما، في ظروف مشابهة، تيفاش (قرب قالمة)، وقالمة ومسكيانة، وتبسة، والقصرين.

ـ وخضعت مجانة وحيدره بعد حصار شديد.

ـ واستسلم أهل قسطيليه (الجريد) بعد مناوشات خفيفة. فمنحوا الأمان من طرف الداعي.

ـ كما خضعت قصور قفصة بدون مقاومة أيضا.

آثار سقوط باغاية :

ومن بين هذه المدن السابقة يعتبر سقوط باغاية (قرب خنشلة) خسارة كبرى للدولة الأغلبية، لأنها كانت من أمنع القلاع في منطقة الأوراس والزاب، وبمثابة القاعدة الأمامية لمدينة رقادة عاصمة الدولة. حيث لم يبق بعدها من ثغور حصينة وهامة للدولة في افريقية غير مدينة الأربس.

وقبل سقوط باغاية، كانت تشرف على سير المعركة ضد كتامة ففيها تتجمع الحملات الأغلبية، ومنها تنطلق، وعبرها تعود، ومنها تتزود وفيها كانت تستريح.

ولقد أدرك الداعي ميزة هذه المدينة وأهميتها بالنسبة للأغالبة، لذلك عمل على أن يكون دورها في هذه المرحلة أساسيا، في عمليات الإنطلاق، والكشف والدعوة، والتضييق على بقية مدن الإمارة في افريقية، وبخاصة حراسة تحركات المعسكر الأغلبي الضارب في أهم ثغور الدولة وحصونها ومدنها في افريقية، ذلك هو حصن الأربس (بجوار مدينة الكاف).

وهكذا : أصبحت باغاية الآن في مواجهة مباشرة مع الأربس. « فخيل أبي عبد الله الشيعي كانت تغير

على الأربس، من باغاية، وخيل زيادة الله تغير على باغاية من الأربس ».

الأربس مركز انطلاق المقاومة :

وفي هذه المرحلة من تطور الصراع، إقتنع الأمير الأغلبي بضرورة المحافظة على مركز الدفاع، وتدعيمه في مدينة الأربس، بدلا من المغامرة في مشروع تحرير باغاية، باعتباره غير مضمون العواقب الآن.

وتدعيما لفكرة المقاومة من الأربس، حتى آخر لحظة، خرج بنفسه من رقادة الى هذه المدينة الواقعة على أطراف الامارة، للإشراف بنفسه على توجيه المعركة ضد الداعي وأنصاره، ولم يرجع الى رقادة الا تحت ضغط رجاله الذين اقترحوا تعيين ابراهيم ابن أبي الأغلب، على رأس القيادة، للإشراف مباشرة على قتال الداعي وعلى تحرير المدن التي سقطت في قبضته.

واستمر الأمير ثابت الجنان، يدعِّم قوة الدولة في الأربس بمزيد من النجدات العسكرية. كما جنَّد العلماء والفقهاء والصلحاء، فأفتوا بلعن الشيِّعي، من على منابر افريقية، باعتباره خارجا عن الدين. وهكذا غدا لعن الشيِّعي الصنعاني تقليدا يحرص عليه خطباء المساجد في افريقية (تونس).

ولتقوية حماس السكان ليضموا قواهم لقتال الشيِّعي، أرسل زيادة الله منشورا، ليُقرأ على هؤلاء السكان، وفيه تنديد به وبحركته وأنصاره، من كتامة الذين وصفوا بأنهم « بربر أغتام وجهال طغام».

وفي الأربس، غمر جنوده بالأموال، وزود كل راغب في العمل بصفحة من دنانير تسع نحو خمسين دينارا، وبفرس يقاتل عليه. وبهذه المبالغة في العطاء، في سبيل تجنيد الرجال، وتعبئة القوى؛ تمكن الأمير من احراز بعض النتائج الايجابية، التي وإن لم تغيِّر من طبيعة الأحداث، إلا أنها أحدثت بعض القلق والبلبلة، في أوساط أنصار الحركة الجدد في حواضر الزاب وافريقية .

لقد تأكد الأمير، بأن أية حركة هجومية أغلبية، ضد باغاية أو ايكجان لن تكون ناجحة، اذا لم تساندها القاعدة الشعبية. والقاعدة الشعبية هي العامل الحاسم، لفصل المعركة، بسبب قوة أصداء الحركة الجديدة التي أصبحت هي وحدها المسموعة بقوة من طرف السكان. ولهذا فلا بد من إشعار الناس بأن هناك قوة أخرى موازية تتحرك في المنطقة، أو بقربها، ليخف عنهم ضغط الحركة الجديدة. ومن أجل هذا بذل الأمير جهدا مضاعفا، وبفضل هذا الجهد سري النشاط، وظهر

جو التحرك، والمقاومة في المعسكر الأغلبي.

وهذا التحرك ساعد الدولة على الإستمرار، وأرغم أنصار الحركة الجديدة على الانتظار، لفترة امتدت من شعبان 294هـ / مايو 906م حتى جمادي الآخرة 296هـ / مارس 908م، وهي السنة التي سقطت فيها مدينة الأربس في يد الداعي.

فما هي هذه التطورات الجديدة ؟ وما مدى فاعليتها في كلا المعسكرين ؟

فبالنسبة لمعسكر الداعي نجد :

1 ـ تقدما سريعا ومنتظما نحو حدود الامارة، لتشديد الحصار على معسكر بن الأغلب في الأربس، ولتضييق الخناق نسبيا على عاصمة الامارة.

2 ـ ووسيلة هذا التقدم، حركة دعائية مكثفة كانت تعضدها بعوث عسكرية، للكشف، أو لضم بعض المراكز القريبة، من حدود الامارة في الشمال، أو الداخلية في الجنوب وفي الوسط.

3 ـ ونجد مواجهة دقيقة لكل الدعايات المضادة، ومحاولة الإحسان الى، السكان، والتظاهر بأن الحركة غايتها تحقيق مصالحهم، وتحريرهم من الحكم الأغلبي، وإزالة أى أثر للأخطاء، أو التجاوزات التي قد يرتكبها جند كتامة، ضد السكان، مثلما حصل

في حيدرة، التي فتحت أبوابها بمقتضى الأمان، ثم غدر بهم.

فعندما أستغل هذا الحادث من طرف زيادة الله، وصدر بشأنه تشهير بالداعي وبأعمال رجاله، وأثمر في الإساءة اليه، حيث تنصل كثير من سكان الجهة من الدعوة، فقد أمر الداعي بارجاع ممتلكات سكان حيدرة اليهم، وبتأديب كل من ساهم في السلب والنهب والقتل. وكان هذا مفيدا جدا، بيد أن الجانب الأغلبي اعتمد على هذا الحادث لبدء حركة هجومية انتقامية لتحرير مدن الامارة وأقاليمها، ولتأديب كل من انضم من السكان الى حركة الداعي، أبي عبد الله الإيكجاني.

1) وكانت مدينة تيفاش أولى هذه المدن التي تعرضت لهجوم بن أبي الأغلب، حيث تم اقتحامها، وتشريد حاميتها الكتامية.

2) وعندما علم بن أبي الأغلب بتحرك الداعي نحو اقليم قمودة، حيث مدينتا القصرين وسبيطلة، فهم ان الداعي يموّه عليه للإنقضاض على رقادة، فتحرك في إثره، وتعقبه، وكانت فرصة ذهبية عندما إصطدم بإحدى كتائب الداعي في مكان يسمى « دور مدين » وألحق بها هزيمة كاملة، حطمت خرافة ان أنصار الدعوة

الاسماعيلية لا يهزمون، وتركت جرحا عميقا في نفس الداعي، وجند كتامة. والأهم من كل ذلك ان معركة دور مدين التي أعادت الاعتبار للجيش الأغلبي في نظر السكان الذين ملُّوا سماع أخبار هزائمه أمام قوات الداعي، اعتبرت في النهاية نصرا شخصيا لابن أبي الأغلب، وللأمير زيادة الله أيضا.

3) واحدى ثمراتها : تنكر القبائل للدعوة الاسماعيلية، وعودتها الى الجانب الأغلبي، وكان ذلك أشدّ إمتحان تعرض له الداعي وأنصاره قبيل معركة الأربس الحاسمة. وقد إقتضى هذا الأمر جهدا مكثفا، لتثبيت الوضع المذهبي والسياسي، بين سكان المنطقة الذين فتنوا حقًا بمظاهر الإنتعاش في المعسكر الأغلبي فخافوا على مستقبلهم.

4) أما قمة الإنتعاش في هذا المعسكر فتمثلت حقًا في هجوم عسكري ضد مدينة باغاية، قاده بن أبي الأغلب بنفسه، من قاعدته في الأربس، ولئن لم يتمكن من إحتلالها وطرد حاميتها الكتامية، بسبب المقاومة العنيدة التي وجهها قائد الحامية عروبة ابن يوسف، فإن القائد الأغلبي شفى غليله بقتل كثير من السكان الموالين للداعي، وهذا قبل أن ينسحب الى قاعدته في الأربس، انتظارا لفرصة أخرى مواتية.

معركة الحسم في الأربس - فرار زيادة الله :

وقد تهيأت هذه الفرصة بجوار الأربس في نهاية جمادى الآخرة 296هـ / فبراير 908م، ولكن على غير الصورة التي كان يرجوها النظام الأغلبي.

فالإستعدادات في كلا المعسكرين كانت تبدو مكثفة، وضخمة، فابن أبي الأغلب تقاطرت عليه القوات العسكرية، من طرف الأمير زيادة الله، وأصبح في وضع المتحفز للهجوم العام الذى به يتقرر مصير الإمارة والمنطقة عموما. والداعي من جهته، أعلن التعبئة العامة وانطلق من ايكجان الى باغاية، حيث تعهد لواته، وعبّأ صفوفه، ثم واصل سيره لملاقاة خصمه، وعسكر بجواره جنوب مدينة الأربس وعلى وادى الرمل، وهو من فروع وادى الملاّق (وهذا فرع من مجردة).

ومن مقره، بدأ في مناورات قصد بها التعرف على ميدان المعركة، وتحديد مدى قوة خصمه، وإرهاب السكان الموالين له.

ولما لم تخف أغراضه على بن أبي الأغلب، فقد وقع ما لابد منه، أى الإصطدام بين القوتين، الأغلبية من جهة، والكتامية من جهة أخرى، ولما كان سير المعركة في البداية (صبيحة 24 جمادى الآخرة

296هـ) في غير صالح الداعي وأنصاره، بسبب قوة ضغط الجيش الأغلبي وهجومات رجاله المركَّزة، فقد تحرك الداعي بسرعة، لإبعاد شبح الهزيمة عن رجاله، بعد أن بانت عليهم أعراض الضعف والتراجع. وفي هذه المرة استخدم الداعي أسلوب المفاجأة للخصم، من وراء ظهره، بتكليف مجموعة من الرجال، تكون مهمتهم التوصل الى أطراف المعسكر الأغلبي، في نطاق السرية التامة، لإحداث حركة التشويش، على الخيل، حتى تنفر من ميدان المعركة، فاذا نفرت وفرت يخف الضغط على أنصار الداعي.

واصطدام هؤلاء الرجال فجأة بمجموعة من رجال بن أبي الأغلب، أرسلوا لنفس المهمة في معسكر الداعي ، كان سببا في حدوث اضطراب، وحركة غير عادية، وصياح تعالت أصداؤه، حتى بلغت جانبا من الجيش الأغلبي، فلم يتبين الوضع على حقيقته، وسرت فيه حركة فوضوية، أعقبها انسحاب سريع من ميدان المعركة، فأصيب قائد الجيش بالذهول والدهشة، والاضطراب، سيما وأنه بقي في قلة من أنصاره ورجاله، ولمالم يتماسك ولم يستطع السيطرة على الوضع، بسبب تفكك عرى النظام، انسحب هو الآخر من ميدان المعركة، واتجه وجهة مجهولة، حيث ظهر بعد ذلك في

القيروان مطالبا بالسلطة، وبالامارة بعد فرار الأمير زيادة الله الأخير الى الشرق عبر طرابلس.

أما الداعي، فقد نجح تدبيره، وخرج منتصرا، غير انه لم يدخل الأربس مباشرة، بل رجع الى معسكره، في وادى الرمل. وفي صبيحة اليوم الموالي (25جمادى الأخرة 296هـ / فبراير 908م) دخل مدينة الأربس، فحل بها ما لا يوصف، من أنواع السلب، والنهب، والقتل. كل ذلك بسبب وقوف سكانها الى جانب الشرعية ومقاومتهم للداعي أبي عبد الله. وبهذه الكيفية سقطت مدينة الأربس، فسقط بعدها خط الدفاع الأساسي عن مدينة رقادة، التي أصبحت بمثابة الثمرة الناضجة التي حان أوان قطافها.

وشعور الداعي بهذه الحقيقة، جعله لا يتعجل، في السير نحوها، لإقتحامها لولا تطور الأوضاع فيها على نحو خطير، بسبب فرار الأمير زيادة الله الى المشرق ولحاق قائد جيشه بن أبي الأغلب به، بعد أن رفض سكان القيروان التعاون معه، وامداده بالأموال، وبالرجال، والاعتراف به أميرا. بعد أن أصبحت افريقية بدون أمير.

وهذان الحدثان، تسببا في انعدام الأمن، وسيطرة جو الخوف، وانتشار السلب والنهب، واتساع حركة الهجرة من رقادة الى خارجها.

أمام هذا الوضع رأى الداعي، شعورا منه بالمسؤولية، أن يرسل بسرعة عروبة ابن يوسف لضبط الأمن في المدينة، وتهيأ هو للحاق به على مهل، حيث وصل بعده مدينة رقادة في غرة رجب الفرد 296هـ / مارس 908م فنزل في قصر الصحن (أحد قصور الأمير ابراهيم ابن أحمد)، ووزع رجاله على مدن وحصون الإمارة، ونال رقادة والقصر القديم (العباسية) من رجال الداعي عدد كثيف .

ولأن هذه النهاية السعيدة لجهوده وأتعابه، تقتضي منه ترتيبات خاصة، فقد واجه الأمر بما يتطلبه، فلننظر الآن كيف تصرف الداعي بعد دخوله رقادة، الى أن فارقها مؤقتا لتحرير صاحب الدعوة، وإمام الزمان : عبيد الله من سجنه في سلجماسة (تافيلالت بجنوب المغرب).

الداعي في رقادة - التنظيمات الجديدة :

ويأتي في مقدمة الترتيبات :

أ - منح الأمان العام لسكان رقادة والقيروان، حتى يطمئنوا على أنفسهم وأعراضهم، وأموالهم.

ب - أصدر منشورا أوضح فيه بعض ملامح السياسة الجديدة التي ستطبق على السكان، وهذا بمقتضى

الشرع الإسلامي الحنيف، كما يفهمه الشيعة الإسماعيلية.

ج - خص جزيرة صقلية التابعة للأغالبة بإهتمام خاص، كثغر هام للنظام الجديد، وكمركز لإنطلاق الجهاد، ضد الكفرة، إعزازا لدين الإسلام.

د - كف أذى الجند عن السكان، ووزع عليهم المنح والمكافآت، وحدّد لكل فئة مكانا تأوي إليه.

هـ - وكان لهذا الإجراء أثره الحسن في نفوس السكان، بعد ماشاهدوه من الهدوء والنظام، واحترام المقدسات تطبيقا لأوامر الداعي.

و - وقد حرص الداعي على إستغلال طاقات أنصاره للبناء والتشييد، وجذب مزيد من المؤيدين والأنصار، لقضية آل البيت بواسطة تنشيط الدعوة الحسنة الهادئة.

ز - أحاط بالأموال وببقايا الكنوز والذخائر، التي تركها الأغالبة. وكان منها ما هرّب سابقا الى قصر الرباط في سوسة، أصبحت كلها الآن تحت يده.

ح - إهتم بضبط الأمن وباشاعة الألفة بين سكان مدينة سوسة، بواسطة أخلص رجاله عروبة ابن يوسف، رجل المهمات الصعبة.

ط - عين مسؤولين على مختلف نواحي الإدارة في القيروان ورقاذة وغيرهما من حواضر البلاد.

ى - عين على قضاء افريقية متشيِّعا قديما هو : المروزي، وأعطاه سلطات واسعة، تناولت تعيين قضاة النواحي، والافتاء ومناظرة علماء السنة، واجراء التغييرات المذهبية الضرورية، حتى يتماشى الوضع مع مذهب أهل البيت. ومن ذلك مثلا : الغاء صلاة التراويح في رمضان، وزيادة « حيى على خير العمل » في الآذان.

وباقتراح من المروزي، عين الداعي أئمة لمساجد القيروان ورقادة، وأمرهم بالدعاء لعلي ابن أبي طالب ، وسائر أصحاب الكساء (فاطمة - الحسن - الحسين - الرسول الكريم)، وقد عمّم هذا الدعاء في سائر منابر افريقية.

إهتم بالعملة إهتماما خاصا.

وقبل أن يترك رقادة أشار، ضمن منشور خاص، الى بعض أعماله ومهامه، التي أنجزت، ثم الى التي كان يزمع إنجازها لخير المنطقة وسكانها، « الى غاية يشرب لها الذئب والشاه من منهل، ويجتمع العدو مع عدوه في منزل ».

وقد عيَّن أخاه نائبا عنه في إفريقية أثناء غيبته، وترك لمساعدته في أمور الأمن أخلص شاب كتامي، هو أبو زاكي تمام ابن معارك.

لقد أخذت هذه التنظيمات من الداعي فترة زمنية إمتدت من غرَّة رجب 296هـ الى منتصف رمضان من نفس السنة.

ولأنه أصبح شبه مطمئن الى هدوء الأوضاع، بعد تصفية عناصر الشغب، وتنظيم السلطة، إنطلق لإنجاز بقية مشاريعه المعلقة، فما هي هذه المشاريع ؟

1 - الداعي ومشروع ضم تاهرت الرستمية :

رغم أن الداعي لم يكن في نيته عندما فارق رقادة في رمضان 296 هـ / ماي908م، غير مشروع واحد هو تحرير عبيد الله من سجنه في سجلماسة، ليتوج أعماله بالحدث العظيم في حياة آل البيت، فإنه تشجَّع على تحقيق مشروع آخر، لايقل عنه أهمية، وهو ضم أملاك الرستميين، الى النظام الجديد في رقادة.

والذي شجَّعه على ذلك، هو رغبة كثير من وجوه الطوائف المذهبية ومنهم الإباضية أيضا، تدخل الداعي في أزمة الحكم القائمة في الأسرة الرستمية المتهاوية على عروشها، في عهد الإمام اليقظان ابن أبي اليقظان.

وسهولة ضم هذه الأملاك، بسبب إستعداد السكان، للتخلي عن نظام الإمامة الرستمية، وعدم إبداء أية مقاومة، كان أقوى العوامل في دفع الداعي الى تنفيذ

المشروع الهام.

لكن مع تهيؤ كل الظروف لنجاح المشروع، فالداعي سلك سبيل الحذر، فلم يدخل مدينة تاهرت، عاصمة الإمامة، وإنما اجتمع باليقظان وأسرته، وحاشيته، خارجها، وبعد أن عزّره، وعيّره بالجبن وسوء التدبير، قتله وسائر من معه، فلم ينج من الأسرة إلا من فرّ من قبضة الداعي، مثل الأميرة دوسرا، وعمها أبي يوسف يعقوب، وابنه أبي سليمان. وهؤلاء التجأوا الى بني وارجلان (ورقلة).

وبعد ذلك دخل الداعي تاهرت بالأمان، وبدون أدنى مقاومة في شوال 296 / جوان 908م.

وبهذه الكيفية، أصبحت ممتلكات الرستميين في المغرب الأوسط تابعة، بحق الفتح، لنفوذ الداعي أبي عبد الله.

وغدت تاهرت قاعدة من قواعده. وفقدت صفتها كعاصمة سياسية لدولة مستقلة.

واختفى نظام الرستميين، وأصيب المذهب الإباضي بضربة في الصميم، وتشتت رجاله وأنصاره في الصحراء.

ولم يبق بعد هذه النتيجة الإيجابية إلا الإسراع في السير، لتحقيق المشروع الأساسي.

2 ـ الداعي في سجلماسة لتحرير عبيد الله :

كانت سياسة الداعي، منذ أن فارق رقادة على رأس قوات ضخمة، مؤسسة على إظهار القوة الجديدة القاهرة، إرهابا لقبائل زناتة، ولجماهير السنة وبقايا المذاهب الأخرى.

وكانت رغبته إحداث الهزة النفسية عند هؤلاء جميعا، وذلك عندما يشاهدون المظاهرة العسكرية التي كان يقودها، مخترقا أرجاء إفريقية وبلاد المغربين : الأوسط والأقصى. وقد حصل فعلا ما رمى اليه، حيث تحاشته بعض القبائل، وأظهر بعضها الآخر الولاء له.

وبما أن مهمته لم تكن التوسع فقد واصل سيره بعد تاهرت، الى سجلماسة (اقليم تافيلالت) جنوب المغرب الأقصى، وهو خائف يترقب، ما سوف يحل بعبيد الله وابنه ـ سجيني سجلماسة ـ وهذا عندما ينتشر خبر سقوط الإمامة الرستمية، ومواصلة زحفه بعد ذلك.

ولقد كان تخوفه في محله، حيث أن أمير سجلماسة اليسع بن مدرار الصفري المذهب، المستقل سياسيا ومذهبيا عن الأغالبة وعن الرستميين والعباسيين جميعا. ضيق على عبيد الله، وراقب علاقاته، وعندما

تدخَّل الداعي وأرسل اليه كتبا وسفراء، مزق الكتب، وقتل السفراء، ورفض كل تفاهم مع الداعي. ولذلك بنى الداعي خطته، على أساس مفاجأة سجلماسة، وإرغام أميرها العنيد على الخضوع بواسطة الحرب الضروس.

وبها أمكن للداعي السيطرة على الوضع عنوة، حيث دخل سجلماسة وألجأ أميرها الى الفرار في مجاهل الصحراء شهر ذي الحجة 296هـ / اغسطس 908م . وكانت سعادته غامرة، عندما وجد إمام الزمان عبيد الله حيا، فأعلى أمام الدعاة والمشائخ والأنصار وفي حضرة عبيد الله أن « هذا مولاي ومولاكم ووليّ أمركم وإمام عصركم، ومهديكم المنتظر، الذي كنت به أبشر، قد أنجز الله له وعده، وأعطاه حقه، وأظهر أمره. »

بعد إحتلال سجلماسة لم يهدأ بال عبيد الله إلا بعد أن قبض على اليسع، وضربه بالسياط، وشهَّر به، ثم قتله مع بعض أعوانه.

إستراح عبيد الله أربعين يوما في سجلماسة، قضاها في تنظيم شؤونها الإدارية، والعسكرية، والأمنية، لأنها أصبحت ـ بحق الفتح ـ تابعة للنظام الجديد، الذى هو إمامه ورئيسه الأعلى.

وبسقوط سجلماسة تختفي من الوجود السياسي

إمارة بني مدرار الصفرية وتفقد سجلماسة صفتها كعاصمة سياسية لدولة مستقلة. ويظفر النظام الجديد بميزات موقع سجلماسة، كباب من أبواب التجارة مع السودان الغربي (المالي والسنيغال)، وايضا كمحطة مركزية ثانية، بعد محطة تاهرت، في تجارة العبور بين شمال بلاد المغرب الاسلامي وجنوبها.

3 ـ عبيد الله في رقادة :

لما إطمأن عبيد الله على الوضعية في سجلماسة غادرها صحبة إبنه « محمد القائم » وداعيه أبي عبد الله، الى رقادة، عبر دار الهجرة الاولى في كتامة، وهي ايكجان (بني عزيز) بناء على رغبة داعيه ووجوه كتامة، وفيها قضى فترة يسيرة، إستقبل أثناءها وجوه القبائل، وجمع الأموال المخزونة فيها، وأخذها معه، وكان هذا بداية لتذمر قادة كتامة الذين لم يحصلوا على أي تشريف لمنطقتهم وقاعدتهم ايكجان، مع وضوح أهميتها ودورها في النظام الجديد.

وقد يكون جال بخاطرهم إمكانية إعلانها عاصمة للنظام الجديد، لكن هذا لم يخطر على بال عبيد الله، الذي كان يحن الى المشرق. وقاعدة رقادة تهيء له وسائل الإتصال ببيئته المشرقية أكثر مما تهيئه

له قاعدة ايكجان، ذات الموقع المنعزل البعيد عن الطريق الأعظم (الجادة).

وفي رقادة التي وصلها يوم الخميس 20 ربيع الآخر 297هـ / ديسمبر 908م هيء له إستقبال فخم، تقبل أثناءه التهنئة من فقهاء، وعلماء القيروان، الذين عبَّروا عن سرورهم بوصوله، وطلبوا منه باسم السكان تجديد الأمان العام على الأموال والأنفس والأعراض، فأجابهم الى ذلك مع قدر من الاحتياط.

والملاحظ أنه بوصول عبيد الله الى رقادة، تنتهي المرحلة الأولى في تاريخ الحركة الإسماعيلية في بلاد المغرب، تلك التي نشر نفوذها في كتامة، وسائر افريقية، وبلاد المغرب الأوسط، الداعي ابو عبد الله.

فماهي آفاق المرحلة الثانية، وهذا عندما تحولت الحركة الى نظام إمامة أو خلافة أي دولة عتيدة بكامل أجهزتها ؟ ؟

المفاجآت الجديدة - أو آفاق المرحلة الثانية :

وأولى هذه المفاجآت : إعلان خلافة جديدة، بإسم الخلافة الفاطمية، وصدور أوامر من عبيد الله نفسه الى خطباء المساجد في القيروان ورقادة، بأن يدعوا له يوم الجمعة بلقب جديد هو : المهدي أمير المؤمنين.

وبذلك ظهرت الى الوجود المهدوية الجديدة في بلاد **المغرب**، وهو حدث كبير، لم تألفه المنطقة، ولم **تستسغه** جماهير السكان الذين لا يعترفون الا بخلافة **واحدة** شرعية هي خلافة العباسيين.

ومراعاة لعواطف الجماهير، لم يدّع الأمويون من **قبل** في الأندلس، بعد اقتطاعهم له، لقب الخلافة. **وهذا** التطوّر يعني إنفراد بلاد المغرب العربي الإسلامي **لأول** مرة بخلافة إسلامية جديدة، أساسها آل البيت **العلويون**، أصحاب الحق الشرعي في إمامة المسلمين. **وهذا** في مواجهة المشرق العربي والإسلامي، الذي بقي **يدين** بالولاء لخلافة العباسيين.

ولشعور عبيد الله المهدي، بضعفه، وغربته **بالقياس** الى الداعي أبي عبد الله، أقدم على إتخاذ **خطوات** أدت في النهاية الى الشكِّ في شخصه، والى **التهيئة** لتصفيته من طرف أنصاره وكبير دعاته.

وأولاها :

1 - تقريب وجوه جديدة للنظام، وابعاد العناصر **المؤسسة** له، من وجوه كتامة، بسبب ارتباطهم الشديد **بالداعي** أبي عبد الله.

2 - وهذا بدوره أدى الى تضاؤل نفوذ الداعي **وهيبته**، في نظر العناصر الجديدة. وكان حتى هذا الوقت

زاهدا في السلطة المادية.

3 - أدخل المهدي في ديوان الجند الموالى وأبناء العبيد، تمهيدا لإعتمادهم في الحياة العسكرية للدولة، بدلا من جند كتامة الذين رباهم الداعي على نهجه الخاص.

4 - ويبدو أن حياة النعيم، والراحة التي عاشها جند كتامة بعد النصر رغبة من المهدي والتي لم تجد قبولا من طرف الداعي، لمعرفته بأخلاق كتامة، وخوفه من إنحلالهم وذهاب العصبية عنهم، كانت بداية للإحتكاك بين رجلين : المهدي الجديد، وداعيه الكبير.

فلنبحث الآن طابع العلاقة بينهما ونتائجها..

المهدي - والداعي - المواجهة والتصفية :

يأتي في مقدمة أسباب المواجهة كما أسلفنا :

حياة النعيم والترف التي أرادها المهدى، لجند كتامة، وكانت محل اعتراض داعيته الكبير، الخبير بأخلاق القوم. فكان هذا صدمة عنيفة للمهدي أصرها في نفسه، وأن بقي على نهجه، في التعامل مع كتامة، حسب أسلوبه.

وعدم استجابته لآراء داعيته، أظهرته في مظهر

المستبد بالرأى الرافض لآراء أخلص الرجال الخبيرين باتجاهات عصبية النظام الجديد.

وأما رغبة المهدي في التعامل مع وجوه كتامة، وزعمائها البارزين مباشرة ودون وساطة الداعي، فقد فسِّرت على أنها تنكُّر وجحود، وتهيئة لأمر خطير.

وممارسة المهدي لسلطاته، في التولية، والعزل، وفي التقريب والإبعاد عنه دون مشورة الداعية وأركان النظام الجديد، أساءت الى الصورة المثالية التي كان يحملها هؤلاء عن إمام الزمان، والمهدي المنتظر من آل الرسول، تلك الصورة التي ظل الداعي طويلا يرسخها في أذهان القوم، وأركانها الطهر والعفاف والزهد، والعدل، وإلتزام أحكام الشرع الإسلامي، والتواضع، وبث الألفة بين أتباعه ودعاته.

وحياة البذخ، والنعيم، والتمتع بالجواري في القصور الفخمة، دمغت المهدى الجديد، على حين ظلّ الداعي ملتزما بمنهج الزهد والإعتدال والتواضع، والطاعة التامة للإمام الجديد، وآية ذلك عدم ولايته لأي منصب جديد، في النظام الجديد.

ومن الواضح ان عقيدة الداعي، في المهدي المنتظر من آل الرسول، الذي يأتي، ليملأ الأرض عدلا، بقيت عقيدة راسخة، رسوخ عاطفة الحب

والتقدير، والتبجيل، لآل بيت الرسول (ص) من فاطمة الزهراء وابنها الحسين.

ويبدو أنه لم يؤثر على مستوى هاتين الناحيتين، عند الداعي، ما قد يكون هناك من إختلاف في الطباع، وفي الأمزجة، بين المهدي والداعي الكبير، لاسيّما وأنهما لم يسبق لهما أن إلتقيا في المشرق، أو تعارفا في أية مناسبة من المناسبات، نظرا لمبدأ الستر المفروض على الإمام، وأيضا لم يكن المهدي هو المسؤول عن الدعوة أو عن إرسال الداعي الى بلاد المغرب، إن الذي أرسله هو أبوه : محمد الحبيب وجده الحسين .

ومعنى كل هذا ان الداعي كان لا يرقى الى تصرفاته أو إخلاصه أدنى شك حتى الآن.

ربما كانت خفة أخيه، أبي العباس محمد، وطموحه، وتسرّعه، في الكلام مع قادة كتامة عن أخلاق المهدي الجديد، الذي يكون قد دسّ بين صفوفهم من يأتيه بأخبارهم، قد يكون ذلك، قد أضر بالعلاقة الحميمة، بين المهدي وداعيته، فجعلت كليهما يحذر من الآخر، ويترقب منه ما يكره.

وقد يكون للصراع بين قادة كتامة، على النفوذ في العهد الجديد، وعلى السبق بالمركز الأول عند المهدي أو داعيته، دخل فيما حصل، من توتر في العلاقة

بين المهدي وداعيته الكبير. ولم يخف أبدا عن المهتمين مدى التحاسد بين عروبة ابن يوسف، وأبي زاكي؛ والثاني منهما كان في نظر عروبة، أثيرا ومقرّبا عند الداعي. لهذا كان عروبة شبه ناقم على الداعي، فربما لعب دورا مشبوها للإنتقام لشرفه، فنجحت معه حيلة المهدي الذى إستغل جانب الضعف والغضب فيه، فأصبح عينا له على الداعي، وعلى بني قومه، والذي نلاحظه أن التعبئة النفسية ضد المهدي الجديد، كان من ضمن رجالها ظاهريا عروبة. وفي مكان بجوار تنس يسمى الثور، وقع اجتماع في ذي الحجة 297هـ وكان عروبة من بين الحاضرين فيه، وفي هذا الإجتماع التاريخي، إتفق الداعي مع الثلاثي البارز في كتامة وهم : شيخ المشائخ، عروبة ابن يوسف، وأبو زاكي، على إمتحان المهدي الجديد، حسب المواصفات الخاصة بالمهدي المنتظر عند آل البيت، فإذا ظهر زيفه، أزيح عن مكانه بالقوة وتعاهد الجميع على الإحتفاظ بسرية الخطة، وعلى التنفيذ السريع، عند العودة الى رقادة.

فلما عادوا، كشف عروبة للمهدي كل ما دار في إجتماع الثور بتنس، فخان الداعي ورفاقه، وأصبح المهدي بعد ذلك حذرا من داعيته، يراقب كل

تحركاته، وتصرفاته، وسرعان ما إتضحت له الحقيقة، عندما جابه شيخ المشائخ المهدى بقوله : « ان كنت المهدى فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك.»

إن هذا الأمر خطير، لا يجرؤ عليه أحد، اذا لم يكن مأمورا من الداعي، وأخطر من ذلك أن التساهل في أمر كهذا قد يؤدى الى إنهيار النظام الجديد.

وإقتناع المهدي بوجود تدبير خاص يستهدفه، جعله يتصرف بسرعة، فأمر بقتل شيخ المشائخ، وكلف عروبة بقتل الداعي، وأخيه أبي العباس، كما قتل أبو زاكي بواسطة ماكنون ابن ضبارة، بعد إبعاده عن رقادة.

ونكّل المهدي بكل الزعامات المشبوهة، وبكل أصدقاء الداعي وأقاربهم ..وحتى حلفائهم أيضا.

آثار التصفية :

وكان لهذا الحادث أصداء بعيدة في المغرب وفي المشرق على السواء. وشعور المهدي بضخامة الحادث، دفعه الى شرح قضية الداعي لأنصاره في المشرق تطييبا لخواطرهم.

كما دفعه الى إتخاذ إحتياطات أمنية، على حياته، وعلى حواضر الدولة خاصة رقادة والقيروان، اللتين توجد فيهما كثافة كبيرة من الكتاميين أنصار الداعي

المخلصين.

أما إقليم كتامة فقد عرف عدة إنتفاضات، إحتجاجا على قتل الداعي، ورجالات كتامة، وتطرف سكانه، الى درجة أنهم إدّعوا أن أبا عبد الله الداعي حيّ، لم يمت وسيعود. وخلعوا المهدي، وعينوا من تلقاء أنفسهم، ومن جنسهم، مهديّا جديدا في بلادهم .

وهكذا أصبحت المهدوية طابع العصر، وظلت كذلك لفترة طويلة في أرض المغرب الإسلامي، تأكل أخضره ويابسه، وتفني قواه وحيويته، في متاهات غامضة

سلبية الداعي سبب في نكبته :

وإذا كان للمهدي عذر مقبول في كل تصرفاته، بسبب أنه جديد في المنطقة، وغريب عن هؤلاء القبائل، وأنه مازال بعد ضعيفاً، وهشّاً، بالقياس الى الداعي.

وإذا كان للداعي أبي عبد الله أيضا عذر مقبول في أنه اعترض على تصرفات المهدي القائمة على إبعاده عن السلطة السياسية والروحية، وإبعاد أنصاره أيضا بسبب الخوف على المكانة، فإن الذي يحمل على العجب والدهشة حقا هو :

هذه المثالية النادرة في شخصية أبي عبد الله،

وهذا الإخلاص المتفانى فيه لإي مدَّعي النسب لآل البيت دون أدنى تحقيق، أو برهان.

والواضح أن أبا عبد الله الداعي، لو كان له طموح شخصي خاص، لأمكن له أن يحققه، بكل سهولة ويسر.

فهو زعيم روحي وسياسي لكتامة وأحلافها، وقد عمل جهده، حتى نجح في إقامة نظام جديد، كان هو رائده وزعيمه الأوحد لفترة.

وكان سهلا عليه أيضا أن لا يسعى الى سجلماسة، لتحرير عبيد الله، فيبقى سجينا.

وكان سهلا عليه أيضا أن يتخلص منه بعد تحريره، فيريح نفسه والبلاد كلها.

وكان سهلا عليه كذلك أن يتجاوزه الى غيره، من رموز آل البيت، وهم كثيرون.

وكان سهلا عليه أن يمتحنه مباشرة، بعد أن تمَّ له تحريره، ليتأكد من حقيقته، سيّما وانه لم يعرفه من قبل لا بشخصه، ولا بوصفه.

والأسهل من كل هذا إمكانية إستبداد أبي عبد الله بأمر الإمامة وسهولة تحويلها الى شخصه، منذ أن تم له دخول رقادة؛ لكنه لم يفعل كل هذا وتسرع وانساق وراء العواطف والأحداث، وساقته العواطف

والأحداث حتى تحوّل مصيره أكبر هذه الأحداث جميعا.

أثر التصفية في شخصية المهدي وسياسته :

إن المهم في مجريات الأحوال بعد ذلك ان كتامة فقدت النصير، وأصبحت بعد هذا الحادث جماعة مشبوهة، ومنبوذة، ومراقبة، ومتفرقة الأوصال، تعيش محنة كبرى، لم تنجل عنها إلاّ بعد فترة طويلة؛ من حياة الدولة. وكان ذلك في عهدي المنصور، وابنه المعز لدين الله.

أما عروبة، الذي أعماه الحقد، فقد كان جزاؤه في البداية ولاية الشرطة، ثم عيِّن في تاهرت، ثم حامت حوله الشبهات، وضيِّق عليه الخناق، كما ضيِّق على أخيه حباسة، من طرف عيون المهدي، وبأمره شخصيا، وبعد أن سجنا بتهمة التآمر، أمر المهدي في الأخير بقتلهما، مع من تعاون معهما؛ وجمعت رؤوسهم في قفة؛ وهذا المنظر دفع المهدى الى قوله « عجبا لقوم ضاق فضاء المغرب بنشاطهم وجمعتهم قفة واحدة. »

وهكذا، لقي عروبة، بعد عذاب الضمير، عذابا أشد، يلقاه كل منحرف غادر لولي نعمته، خائن لبني قومه، وصولي في أعماله، حقود على من هو خير منه نعمة وحظوة.

ويدل قتل عروبة وآله، على مدى إستحكام نزعة الشك في نفسية عبيد الله المهدى، تجاه كل من ارتبط بالداعي، بسبب من الأسباب، حتى ولو كانت أسبابا تاريخية ولخير الدعوة.

وفي هذه الأجواء الساخنة، المتوترة بالفتن، وبالثورات، وبسفك الدماء، دماء الأنصار والمعارضين، تسلح المهدى بسلاح رهيب، هو الحيطة والدهاء، وتحصين موقعه، والتضييق ما أمكن على معارضيه، وقد ظهرت فلسفته خاصة في بناء المهدية (سنة305هـ / 917م) في موقع يحيط به البحر من ثلاث جهات، ثم في إقامة مدينة أخرى بجوارها، تعتبر بمثابة ضاحية لها وتسمى زويلة.

وقال في هذا التدبير « ان أموالهم عندي، أى في(المهدية) وأهاليهم هناك أي في (زويلة)، فإن أرادوني بكيدٍ في زويلة كانت أموالهم عندي فلا يستطيعون، وإن ارادوني بكيدٍ في المهدية، خافوا على أسرهم وحريمهم، في زويلة، فلا يستطعون.»

انظروا الى هذا التدبير المحكم! ! إنه لا يصدر إلاّ عن رجل داهية خبير، إمتلأت جوانحه بالشك، ويتوقع المكروه والشر في كل حين، من أنصاره، ومن معارضيه معا.

ولقد إستمر المهدى يقظا متحفزا، وصار مع الأيام حاكماً، ثقيل الظل مستبداً، قاسياً، يضرب حيث الشبهة، بدون أدنى شفقة أو رحمة.

ولعل عذره أنه كان مؤسس دولة، وراعي نظام في بيئة غريبة عنه، أهواء سكانها متقلبة الى حدٍ بعيدٍ.

وهذا التقلب تترجم عنه الثورات والفتن القبلية التي كانت طابع عصر المهدي، وخلفائه من بعده، حتى عصر المعز لدين الله، الذي أخلى المغرب العربي الإسلامي، من عناصره القوية في قبائل كتامة وصنهاجة وعجيسة وزواوة وغيرها، وصحبهم معه الى حياة الجندية في مصر والشام. فأصيب سكان المغرب الإسلامي بضربة قاسية وخاصة عنصر كتامة، الذين تفرقوا في الآفاق المشرقية، حتى خلت بلادهم إلاّمن الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال، بحيث يصح إعتبار الحركة الإسماعيلية، وقيام الدولة الفاطمية نتيجة لها، بمثابة نكسة كبيرة، للحركة البشرية في بلاد المغرب العربي الإسلامي؛ وبداية عهد البلاد بالحركات السرِّية، وبالمهدويات الغريبة، وبالإضطهاد المذهبي، وبالإنغلاق الفكري، والتأخر الحضارى، وبالحروب والفتن القبلية، التي انعدم معها الأمن على الأنفس والأموال والأعراض، فتضررت مظاهر الحياة الاقتصادية

من زراعة وتجارة وصناعة، وكذلك تضررت مراكز العلم والفكر، وكذا هيبة العلماء، من أهل السنة، خاصة اذا كانوا من المالكية، أو من الشراة : الصفرية أو الاباضية.

وما ظنك يابني بحركة سريَّة باطنية تتحول الى دولة بل الى نظام خلافة عتيدة، أن خيرها لا يمكن أن تتوقعه إلاّ ضئيلا، بينما لا يمكن أن يكون شرها، أو شررها إلاّ مستطيرا.

الخاتمة

إيجابيات قليلة وسلبيات أكثر :

وبناء على ما تقدم لاحظنا كيف أن :

1 ـ الخلافة عند المسلمين كانت هي أساس الفكر الحزبي والسياسي عندهم.

2 ـ فبسببها، نمت بذرة الحزبية الإسلامية، التي عبرت عنها مجموع الفرق الإسلامية الرئيسية، وهم : أهل السنة، والشراة (الخوارج)، والشيعة، بطوائفهم المختلفة.

3 ـ وهؤلاء الشيعة أنصار علي ابن أبي طالب، أو حزب العلويين أو آل البيت هم ممّن ناضلوا طويلا، من أجل إثبات أحقية علي وبنيه، في الخلافة، ناضلوا ضد الأمويين، وضد العباسيين، أقربائهم أيضا.

4 ـ ومن بين حزب الشيعة : فريق الإسماعيلية، من بيت جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي ابن زين العابدين ابن الحسين ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم.

5 ـ وهؤلاء الإسماعيلية، باعتمادهم على سلاح

العلم، والفلسفة، وترتيب الأدوار، وضبطها لدعاتهم، وعلى السرّية، وعلى الدعوة الهادفة الهادئة، الى آل البيت، تمكنوا من النجاح ضد العباسيين، في أماكن بعيدة عن مركز الخلافة العباسية، ومنها بلاد اليمن والبحرين، وبلاد المغرب الاسلامي .

6 ـ والفضل في هذا النجاح إنما يعود الى مجموعة خيّرة، صالحة، كفؤة، ملتزمة بالمبدأ، مخلصة لآل البيت، يسمُّون بالدعاة، ومن بينهم، ومن أشهرهم وربما من أنجحهم في بيئة المغرب الاسلامي.

7 ـ أبو عبد الله الشيِّعي المحتسب الصنعاني. هو فذ بين الدعاة، ونابه بين العلماء، ورجال السياسة، والدهاة، والعارفين بأسرار الحياة، والكون، وتقلبات الأحوال.

8 ـ لقد هيأ نفسه للأمر الخطير، فنجح مع حجيج كتامة فكان مطلوبا ومرغوبا فيه منهم، لا طالبا أو متعلقا بأذيالهم، هذا إرهاص بما سوف يلقاه من توفيق ونجاح !

9 ـ ولقد نفذ بواسطتهم الى بيئة المغرب الاسلامي، واستقر بين أظهرهم، في ايكجان (ولاية جيجل)، حيث بدأت حياته إماما ومعلّما، ثم كشف عن شخصيته، فاذا هو الداعي للإمام المكتوم من آل

محمد، وبعلمه المكثف، تحول الى هيئة زعيم سياسي وروحي للمنطقة، وعندما نضجت دعوته، وقويت عصبيته، وأثمرت جهوده في تربية، وفي تنظيم قوة بشرية هائلة من سكان كتامة، وآن أوان العمل المادى، صار قائدا أعلى لهذه القوة الهائلة من الأنصار، التي قادها، وقادته، الى النصر، ضد الأغالبة، والرستميين، وبني مدرار ووجّهها. بعد النصر الى إدراك المجد، والى طلب معالي الأمور، في النظام الجديد الذى أشرف على تأسيسه في رقادة، والذي أصبح يعرف بالخلافة الفاطمية، نسبة الى فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص).

10 ـ ولقد شرُف عبيد الله الذى لقب نفسه بالمهدي، بلقب جديد هو لقب أمير المؤمنين، وأيضا لقِّب بأول خلفاء الفاطميين في بلاد المغرب الاسلامي.

11 ـ أما الداعي الذي كان سبب هذه النهاية السعيدة، وأما كتامة وغيرها من الأحلاف الذين كانوا وقودا وجنودا لحركة آل البيت، فقد بدأ الفلك يتحول عنهم، وبدأت الدائرة تضيق بهم، حتى ضاعوا في زحمة الأحداث قتلا وتشريدا وإمتهانا. انها ـ والله ـ لرذيلة إنكار الجميل، ودفع المعروف الذي جبِلت عليه بعض الأنفس البشرية الشريرة.

12 ـ والمدهش حقا، هو سلبية الداعي أمام

تدبيرات هذا المهدي الجديد، وهو صنيعته ! حتى لكأنه كان مستهينا بأمره، غير بصير بعواقب استخفافه به، حتى أصاب المهدي منه مقتلا، وذلك عندما استفسد قلوب أخص رجاله الأقوياء، مثل عروبة ابن يوسف، وأغراهم به وبرجاله، فما كان منهم، وبمقتضى ما ربّوا عليه من الطاعة التامة إلا التنفيذ، قائلين للداعي في المرحلة الحاسمة عندما نهاهم : « إن الذي أمرتنا بطاعته، قد أمرنا بقتلك.»

13 - ولم يكن حادث تصفية الداعي وأنصاره، خاتمة المشاكل، بالنسبة للنظام الجديد، بل كان فاتحتها. والبقية أشد وأقسى ! !

14 - ولقد كان سكان بلاد المغرب بمثابة الحطب الجزل في المعركة الشرسة التي خاضها الفاطميون فيما بعد، تركيزا لنفوذهم، سواء ضد القبائل المتمردة، مثل حلف زناتة، أو ضد الأمويين في الأندلس أو العباسيين في الحجاز ومصر والشام والعراق.

15 - وإذا كان الفاطميون قد نجحوا مؤقتا، في تهيئة صورة للوحدة السياسية، والمذهبية للمغرب الإسلامي، فإن ما يعيبها : أنها كانت بالقوة القاهرة، ووفق مذهبية خاصة، مغايرة لمذهب السكان ؛ ولم تشمل حلف زناتة، بفرعيه اللذين ناصرا الأمويين في

الأندلس، لإتفاقهم في المذهب السني المالكي.

كذلك لم تركز هذه الوحدة في أيدي قيادات محلية على أساس الكفاءة، أوخدمة المنطقة، وإنما على أساس الولاء وخدمة أهداف واستراتيجية الفاطميين العليا، ولذلك لم يخلص لها أغلب السكان، بل حاربوا الزيريين من صنهاجة نواب الفاطميين في المغرب بعد رحيل المعز لدين الله الى مصر سنة 362هـ / 972م.

وهكذا عادت البلاد الى ظاهرة التجزئة والإنقسام، واشتعلت أركانها بالحروب القبلية التي أضرّت بالمنطقة ضررا بالغا لفترة حتى لاح في أفق المغرب الإسلامي مرة أخرى، صبح الوحدة المغربية، على أيدي مهدوية محلية هي مهدوية الموحدين بقيادة إمامهم عبد المؤمن الندرومي خليفة ابن تومرت. فإستعادت المنطقة تدريجيا وحدتها وتكاملها وهناءها وأمنها ومسيرتها التاريخية مؤثرة في الأحداث ومتأثرة بها..

والذي نرجوه، وندعو الله لتحقيقه، أن يتم في هذا العصر، عصر الاستقلال والسيادة، تكامل المنطقة المغربية ووحدتها وإلتئام شمل شعوبها الشقيقة الجارة، إن ذلك ليثلج صدور المخلصين، وليحمل كل الخير، والأمن والغبطة للسكان، أجمعين.

وماأصح قول من قال :

مدّوا أيديكم فهيا كفى لنتحد
إن التفرق باللعار يؤذينا

والله المستعان في كل أمر نافع شريف.

تم بحمد الله وحسن عونه

المحتوى

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ، الجزائر
1990

ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني
(الشيعي)

- موجهة للأطفال والشباب...
- ملحمة تاريخية ذات علاقة حميمة بفترة من التاريخ الوطني.
- تضمن توجيها، قوميا.
- عرض مختصر، وواضح لبعض الشخصيات الوطنية من كتامة.
- تجربة وحدوية في إطار كتامة.
- تجربة وحدوية إتسعت للمغرب العربي كله.
- الريادة لشخصيات من كتامة، بمصاحبة وتحت قيادة أبي عبد الله الإيكجاني (الشيعي) وهذا كله في إطار العصر الفاطمي.

السعر : 25,00 دج

شخصيات لها تاريخ شخصيات لها تاريخ شخصيات لها تاريخ شخصيات لها تاريخ